الاعتقاد الضعيف وتفكيك الأصولية الميتافيزيقية عند جياني فاتيمو

د. شريف مصطفى أحمد(*)

مقدمة:

في عام 1996، نشر جياني فاتيمو* Gianni Vattimo كتابا بعنوان "الاعتقاد بأن المرء يعتقد". وقد كان هذا الكتاب مهما سواء في التعبير عن رؤى فاتيمو الدينية الشخصية أو للفكر القاري بشكل عام، علاوة على أنه يعد المؤلف الأكثر بروزا في مرحلة ما بعد التطور الفلسفي الهايدجري لعودته إلى الدين. فمنذ "الاعتقاد"، كتب فاتيمو عددا من المؤلفات التي ربطت إنتاجه الفلسفي بالمسيحية، مثل "ما بعد المسيحية" عام 2002، و"مستقبل الدين" بالاشتراك مع ريتشارد رورتي عام 2005، و"ما بعد موت الآلهه"، بالاشتراك مع جون د. كابوتو عام 2007، و"المسيحية والحقيقة"، و"الاعتقاد الضعيف"، بالاشتراك مع رينيه جيرار

(*) **د. شريف مصطفى أحمد حسن:** مدرس الفلسفة الحديثة والمعاصرة– قسم الفلسفة– كلية الآداب– جامعة الفيوم.

* **جياني فاتيمو** فيلسوف إيطالي معاصر، ولد عام 1936 في مدينة تورينو. درس الفلسفة في جامعة هذه المدينة وتخرج منها عام 1959. في عام 1964، أصبح استاذًا مساعدًا في جامعة تورينو، ثم استاذًا للأخلاق عام 1969، وفي عام 1982، أصبح استاذًا لمادة الفلسفة النظرية؛ كما يعمل فاتيمو أستاذا زائرا في عدد من الجامعات الأميركية. انتسب فاتيمو إلى الحزب الشيوعي الإيطالي بعد أن نشط في عدة أحزاب كالحزب الراديكالي وتحالف تورينو وحزب ديموقراطيي اليسار. وقد أصبح عضوًا في البرلمان الأوروبي بين عامي 1994 و 2004. ومعروف عن فاتيمو مواقفه المؤيدة للقضية الفلسطينية. يدافع فاتيمو عن كنيسة كاثوليكية أقل دوجماطية وأكثر مرونة، ويعتقد أن فكرة الحب المسيحي قد تلعب دورًا ايجابيًا في عالمٍ متعدد الثقافات.

(ISSN : 2536 - 9555)

عام 2010. ويعد موضوع عودة فاتيمو إلى المسيحية أو ما يطلق عليه الاعتقاد الضعيف الموضوع السائد في فلسفته.

يرى فاتيمو أن هيمنة التقنية والاعلام الجماهيري على المجتمعات المعاصرة قد انتجت عالمًا مفتتًا ومعقدًا، من ثم استحالة فرض وجهة نظر واحدة وموضوعية، أو تأسيس مفهوم تقدمي موحد عن التاريخ البشري. فلن ينتج هذا الواقع الجديد سوى أونطولوجيا واهنة ومفككة تفضي إلى ضعف وتفكك المطامح الميتافيزيقية التقليدية باتجاه "اعتقاد ضعيف". إن الواقع المابعد حداثي بالنسبة لفاتيمو، يفتقر إلى وحدة الطبيعة البشرية والعالمية. ذلك أن مقولات الوحدة البشرية والعالمية التي أتت بها الثقافة الأوروبية كانت مجرد أساطير وتبريرات أفسدت شروط الحياة البشرية ووجهت نحو توحيد العالم بشكل إمبريالي لا يأخذ بعين الاعتبار الاختلاف الثقافي.

يرفض فاتيمو أي مقولة عن بنية متعالية للعقل أو للحقيقة قد تعطى مرة وللأبد*. لا يحاجج عن فقدان لكل حقيقة، بل يدافع عن تأويلٍ متجدد– إنطلاقًا من هيدجر– لحقيقة تنفتح نحو آفاق واسعة، فالفلسفات تخضع دومًا لاستجواب أسئلة طارئة، وهي أسئلة تمتلك صفة "أنطولوجيا الراهنية"، وما يثبت هذا الأمر هي الروابط الثقافية التاريخية الخاصة بكل فلسفة. ذلك أن التاريخ هو سيرورة إضعاف أو مسيرة خيبة أمل بحسب فاتيمو، ولكنها مسيرة تفترض قرارًا بنبذ العنف.

* في مقاله "العدمية كانعتاق" يؤكد فاتيمو أن "الحقيقة هي فقط ما يحررك؛ الحقيقة هي بداية كل "اكتشاف" بأن لا وجود لأسس مطلقة يتوجب على حريتنا أن تتوقف عندها، وتكون بديلاً عن كل أنواع السلطات التي تريد أن تحكم على وجه التحديد باسم هذه الأسس المطلقة والتي سعت دومًا إلى أن تجعلنا نثق [بها]....ومهمة العلمانية هي إسقاط القداسة عن أي مطلق كان، أية حقيقة مطلقة– تبدو بعيدة تماما عن الاعتبار أنه قد عفى عليها الزمن".

Gianni, Vattimo, Nihilism and Emancipation. Cosmos And History: The Journal of Natural And Social Philosophy, Vol 5 ,n. 1, 2009, p.21.

إن الاعتقاد الضعيف هو شكل من أشكال الفلسفة ما بعد الهايدجرية التي يمكننا اعتبارها مرحلة ما بعد ميتافيزيقية. ذلك أن الفكر الضعيف هو محاولة لإظهار ضعف الموجود من حيث صلته بالحقيقة الموضوعية وارتقاء التأويل باعتباره المنهجية الأساسية للتحقيق الفلسفي. حيث يذكرنا فكر فاتيمو الضعيف باستمرار وبشكل متوافق مع نيتشه بأنه "لا توجد "حقائق"، وإنما فقط "تأويلات"[1].

يؤكد فاتيمو أن الاعتقاد الضعيف هو الشك المتطور في الاعتقاد الميتافيزيقي التقليدي القوي. إذ يجب ألا تدفعنا التفرقة بين الاعتقاد الضعيف والاعتقاد القوي إلى اعتبارهما نمطين متمايزين من الاعتقاد، وإنما إلى اعتقاد واحد تعرض لعملية إضعاف عبر تاريخ الاعتقاد، تلك العملية التي لم يدركها بعد المؤمنون بدعم اليقين الميتافيزيقي. فقد ربط فاتيمو الميتافيزيقيا بالعنف، وقيد الاعتقاد التقليدي بالميتافيزيقيا لإثبات إمكانية الاعتقاد الضعيف، والذي يسعى إلى الحد من العنف في العالم.

وتسعى هذه الدراسة إلى تقديم تحليل نقدي مقارن لآراء فاتيمو حول الاعتقاد الضعيف وعلاقته بالأخلاق مابعد الميتافيزيقية، وأطروحات: نسيان الوجود وموت الإله والتخلي والفداء والعلمانية الإيجابية، وعلاقة الاعتقاد الضعيف بالشك وعدم اليقين، ودفاع فاتيمو عن كون المسيحية شرط تاريخي متعال لما بعد الحداثة.

أولا: الاعتقاد الضعيف وعودة فاتيمو للمسيحية

إن عودة فاتيمو للكاثوليكية ليست عودة إلى الموقف الكاثوليكي المألوف، إذ أن كاثوليكيته بدعية تماما. فقد غير اهتمامه بالعدالة من طريقة تفكيره في المسيحية. هو مدرك تماما للعنف الأيديولوجي المتضمن في النظرة المسيحية

1) Gianni, Vattimo, The Age of Interpretation. In The Future of Religion, by Richard Rortyand and Gianni Vattimo. New York: Columbia University Press, 2005. P.43.

(ISSN : 2536 - 9555)

التقليدية*، ويأمل في جعل الرسالة المسيحية للمحبة أساس المسيحية ما بعد الميتافيزيقية.

يمكننا الكشف عن أسباب عودة فاتيمو إلى المسيحية ودفاعه عن "الاعتقاد الضعيف" والمقدمة في كتابه "الاعتقاد" وفق ثلاثة مسارات مترابطة: الشخصي، والاجتماعي السياسي، والفلسفي. فعندما كان مراهقا، كان فاتيمو يستيقظ كل صباح ويذهب إلى القداس قبل المدرسة[2]. وخلال هذه الفترة، كان منخرطا بشكل كبير في مجموعة العمل الكاثوليكية، وهي منظمة ذات توجه تطوعي حاولت التأثير على الثقافة الإيطالية وفقا للعقيدة الكاثوليكية. ومع ذلك، سرعان ما أصبح فاتيمو محبطا من الجمود الدوجماطي للديانة الكاثوليكية، خاصة فيما يتعلق بأخلاقيتها ومحافظتها السياسية. في وقت مبكر، قبل أن يكون قد قرأ نيتشه أو هايدجر، كتب فاتيمو عن تشككه في النظام الطبيعي غير القابل للتغيير واللاهوت الطبيعي أيضا[3]. وعلى الرغم من هذه الهواجس، فقد كان يأمل في عقد تحالف بين الكاثوليكية والشيوعية، تحالف بين المسيحية والسياسة الراديكالية. وبسبب هذا الميل الراديكالي تم طرده من مجموعة العمل الكاثوليكية في عام 1955[4].

وقد كان هذا الخروج بداية لمرحلة جديدة في حياة فاتيمو. فمع خيبة أمله في المحافظة السياسية للكنيسة، وأكثر بكثير مع استكشاف ميوله الجنسية المثلية، أدار فاتيمو ظهره إلى المسيحية وبدأ يكرس وقته وطاقته لقراءة نيتشه وهايدجر،

* يقصد أن ادعاء المسيحية التقليدية– بل وكل الأديان– امتلاك الحقيقة المطلقة قد دفعها إلى الدخول في صدام مع الآخر.

2) Gianni.Vattimo, Belief. Oxford: Polity Press, 1999. P. 20.

3) Gianni.Vattimo, Not Being God: A Collaborative Autobiography. New York: Columbia University Press, 2009. P.13.

4) Ibid, p. 42.

وفي وقت لاحق المواقف السياسية المتطرفة لهربرت ماركيوز وجورج لوكاش. وفي عام 1968، تحول فاتيمو إلى الماركسية الماوية بعد قراءة إيروس ماركيوز والحضارة، والماركسية السوفيتية[5]. ومع ذلك فقد ظل على قناعة بأن فلسفة هايدجر كانت "أكثر راديكالية" من النظرية النقدية للوكاش وماركيوز وأدورنو. اعتقد فاتيمو أن السياسة، وليس الشعر، فقط يمكن أن تغير العالم[6]. مع ذلك، لم يرغب في الترويج لفكرة ثورة من شأنها أن تؤدي إلى ديكتاتورية البروليتاريا[7]. وقد بدى هذا التناقض في كتابه المهم "الذات وقناعها: نيتشه ومشكلة التحرر"عام1974، حيث أكد فاتيمو أننا يجب ألا نحاول فقط تغيير علاقات القوة في المجتمعات الرأسمالية، ولكننا يجب أن نحاول فعل ذلك عن طريق تغيير ذاتيتنا الخاصة، من ثم اعتبر سوبرمان نيتشه موضوعه الرئيسي.

يمثل هذا الكتاب نقطة تحول هامة في حياة فاتيمو، لأن استجابة اليسار الراديكالي المخيبة لآماله دفعته نحو تطوير فكرته حول الاعتقاد الضعيف. وفي أواخر السبعينات، أصبحت الماوية في تورينو عنيفة على نحو متزايد. فقد كان اللواء الأحمر يقتل تقريبا شخصية عامة كل يوم[8]. وحينما تم اعتقال بعض طلاب فاتيمو وكتبوا له من السجن، أعرب عن خيبة أمله سواء من المضمون الميتافيزيقي لأخلاقهم الثورية أوالطريقة التي فسروا بها الذات النيتشويه باعتبارها ذات لينينية، توفر شكلا من الأخلاقية الثورية[9]. علاوة على ذلك، فقد تعرض فاتيمو نفسه لتهديدات من اللواء الأحمر، فقد كان في اجتماع مجلس الكلية،

---

5) Ibid, p.52.

6) Ibid, p.60.

7) Ibid,pp.61-63.

8) Ibid,p.81 .

9) Ibid, p.84 .

(ISSN : 2536 - 9555)

عندما ذهب إليه السكرتير وقال "أستاذ، لقد اتصلت الألوية الحمراء هاتفيا ويقولون إنهم يريدون قتلك"[10]. لقد تم استهداف فاتيمو لأنه كان معتدلا للغاية، يتحدث ضد المنطق الميتافيزيقي لمعتقدات اللواء الأحمر.

وقد قادت هذه الأحداث فاتيمو إلى مراجعة قراءاته السياسية السابقة لنيتشه وهايدجر[11]. فقد كتب سانتياغو زابالا، وهو أحد الطلاب المقربين من فاتيمو "لقد جاء الاعتقاد الضعيف إلى الحياة ليس خوفا من الإرهاب، ولكن ردا على التأويل الإرهابي لليسار الديمقراطي الإيطالي خلال السبعينات، كاعتراف بعدم قبول عنف اللواء الأحمر"[12]. إن الاعتقاد الضعيف يجد في المواقف الميتافيزيقية لأي مجموعة سياسية أودينية، ميل نحو العنف. ومن ثم فإنه يهدف إلى إيلاء اهتمام خاص بتجنب الوقوع في فخ الأصولية الميتافيزيقية.

إن أحد الآثار الرئيسية للاعتقاد الضعيف هي الطريقة التي يحرر بها الخبرة الإنسانية من هيمنة الدوجماطية، سواء العلمانية أو الدينية. كما كتب فاتيمو في مقدمته لمجموعة من المقالات ومنها مقالته المؤثرة في الاعتقاد الضعيف "الاعتقاد الضعيف، وعلى الرغم من ضعفه، مرغوب فيه لأن "الثمن المدفوع بسبب الاعتقاد القوي هو تقييد البشر بشكل لافت للنظر أكثر مما يمكننا أن نرى ومما يمكننا الكلام عنه"[13]. يحاول التفكير الأصولي تقييد الخبرة الإنسانية بحدود ما يدعي أنه حقيقي، صحيح أو مؤكد. الميتافيزيقيا على وجه الدقة نظام اعتقاد يحدد الوجود من خلال تقييده بتمثيل محدود ثم تعظيم هذا التمثيل حتى تنتج

10) Ibid, p.

11) Santiago, Zabala, Weakening Philosophy. Montreal: McGill-Queens University Press, 2007. pp.12-13.

12) Ibid.

13) Vattimo, Not Being God,. P.87.

حدود التنظيم الذاتي بين الممكن والمستحيل، بين ما يمكن التفكير فيه وعمله بشكل مشروع وما ترى أنه غير مشروع. عن طريق التشكيك في قوة التفكير الأصولي عبر تأييد النقد الهايدجري للميتافيزيقيا، يحررنا الاعتقاد الضعيف من التنميط البشري، كما يحرر الخبرة الإنسانية من قيود وعنف المنطق الميتافيزيقي.

إن نقد الميتافيزيقيا الذي قدمه نيتشه وهايدجر ليس ضد الإيمان بل إنه يقوض الأساس الفلسفي للإلحاد "لا توجد أسباب وجيهة لكي تصبح ملحدا في عصر تعددية ما بعد الحداثة"[14]. لكن هذا بالطبع لا يعني أن يصبح المرء فقط مؤمنا، والذي هو أيضا موقف ميتافيزيقي. فالهدف هو تحرير التجربة الدينية، وفقا للمنظور ما بعد الميتافيزيقي للتجربة الدينية. وحيث تمخضت حياة فاتيمو ومشروعه الفلسفي عن محاولة لإثبات هذه الامكانية. وأحد هذه المفاهيم الرائدة في هذا التطور هو مفهوم الاعتقاد، والذي ينبغي، بالطبع، أن يفهم بشكل مابعد ميتافيزيقي، وبالتالي ضعيف.

ثانيا: الاعتقاد الضعيف والأخلاق ما بعد الميتافيزيقية

عن طريق الاعتقاد الضعيف، كان فاتيمو يأمل في الحد من العنف في العالم الاجتماعي- التاريخي. ولهذا ترتبط وجهات نظره بشأن الدين ارتباطا وثيقا بنظريته الأخلاقية. يرى فاتيمو أن الأخلاق الدينية لم تعد تستحوز على اهتمامات المفكرين في العقود الأخيرة[15]. فلم تعد الأخلاق الدينية تعني بالفرد وتطلعاته وإيمانه الروحي الداخلي، بل تحولت نحو الاهتمام بالـ"مجال الاجتماعي"[16]. فلم يعد أحد تقريبا في العالم الكاثوليكي يولي اهتماما أخلاقيا بالنقاء الجنسي، بل

14) Vattimo, Belief. P. 28.

15) Gianni, Vattimo, Nihilism and Emancipation: Ethics, Politics and Law. New York: Columbia University Press, 2004.pp. 60-63.

16) Ibid, 63.

(ISSN : 2536 - 9555)

أصبح من المألوف أن يسمع خطبا عن العالم الثالث ومحنته الاقتصادية والإنسانية وغيرها من القضايا الاجتماعية. بمعنى آخر، يعتقد فاتيمو أن النزعة الأخلاقية الطبيعية للكنيسة الكاثوليكية بدأت تتلاشى على الرغم من أن المذهب الكاثوليكي الرسمي لازال يمنحها تقديرا عاليا. ما يميز هذا الانتقال من أخلاقية طبيعية دينية إلى أخلاقية أكثر علمانية، هو الانتقال من أخلاق آخر إلى أخلاق آخر[17]. يشير الأول إلى الشكل الميتافيزيقي للأخلاق والذي يستند إلى "طاعة قواعد مستمدة من جواهر وبناءات ميتافيزيقية، ويشير الثاني إلى الانتقال إلى وضع أخلاقي نستطيع فيه أن نقول أن هناك معاييرا أخلاقية غير متعالية أو متجاوزة.

في إشارة إلى أخلاقيات "الآخر"، يبرز فاتيمو صراحة الفرق بين الشكل الذي يتبناه هو للأخلاق وأخلاق إيمانويل ليفيناس[18]. ففيما يخص الفلسفة الأخلاقية لليفيناس، يشعر فاتيمو بواجب نقد مواقفه "الميتافيزيقية المتصلبة". ولكي نفهم لماذا يرى فاتيمو أن أخلاق ليفيناس أخلاق ميتافيزيقية، يمكننا النظر إلى نقاشه لمفهوم ليفيناس للألوهية كغيرية راديكالية. بالنسبة لليفيناس، تقوم المسؤولية الأخلاقية نحو الآخر البشري على الارتباط بغيرية راديكالية أطلق عليها ليفيناس "الآخر الإلهي"[19] هذه الغيرية الراديكالية هي أساس الأخلاق: بالنسبة لليفيناس يؤسس اتباع الإله العمل الأول للإلزام، وذلك بمعنى أنه "يؤسس" العلاقة الأخلاقية [بالآخر البشري][20]. ومن هذا المنظور، فإن كل مسؤولية نحو الآخر

17) Ibid, 64.

18) Ibid, 67.

19) Simon, Critchley, The Ethics of Deconstruction. Edinburgh: Edinburgh University Press, 2005. P.114.

20) Ibid,pp.114-115.

الإنساني تتأسس أولا على مسؤولية تجاه الآخر المطلق. حيث يوفر الإله الهدف الحقيقي للعلاقة الأخلاقية لأن المرء يطيعه بالاستجابة لأثره في الالتزام تجاه الآخر البشري. هذا هو سبب ملاحظة سيمون كريتشلي للصلة القوية بين الدين والأخلاق في فلسفة ليفيناس. يقول كريتشلي، وفقا لليفيناس "الأخلاق هي الدين ..."[21]. وبالنسبة لفاتيمو تحتفظ أخلاق ليفيناس بشكل من أشكال التواطؤ الميتافيزيقي. الآخر الكامل عند ليفيناس لا يمكن حيازته، ولكن يمكن الاقتراب منه عبر أثره، والذي نجده في التزاماتنا تجاه الآخر الإنساني. هذه الإشارة إلى الآخر الكامل للعالم الآخر تعبر عن حركة لاهوتية سلبية رئيسية تميل إلى تجسيد إله التعالي في آخر، ولكنه آخر على الرغم من ذلك لا يزال موجودا "في مكان ما" من الواقع[22]. يقول فاتيمو إن إله ليفيناس "يمكن أن يتوافق فقط مع قفزة إيمانية لاعقلانية، وأن هذا الإله التام الكامل هو "الإله القديم نفسه للميتافيزيقيا، والذي يمكن تصوره باعتباره الأساس المطلق الذي لا غنى عنه للدين والمبرر بموضوعيتة واستقراره، ووضوحه الفائق"[23].

يعتقد فاتيمو أن هذا الإله المطلق هو الإله العنيف الذي يفرض منطق "القربان والتضحيه"، حيث ربط فاتيمو إله اللاهوت السلبي وأخلاق ليفيناس بعنف الأديان الطبيعية القائمة على القرابين. حيث تجسد الديانات الطبيعية العلاقة بين المقدس والعنف بسبب إصرارها على منطق الفداء. حيث يحتاج الإله القدير إلى تكفير استرضائي عن الإثم البشري، من ثم يخاطر الآخر المطلق بنفس الميل

21) Ibid,p.115.

22) Gianni, Vattimo, After Christianity. New York: Columbia University Press, 2002. Pp. 37-39.

23) Ibid, p.39.

(ISSN : 2536 - 9555)

نحو العنف لأنه يضحي بالحوار والنقاش البشري حول الإلهي من أجل لحظة سلبية، من أجل تمجيد إله غامض يطلب هذه التضحية.

إن أخلاق فاتيمو غير متعالية، أخلاق دون آخر كلي، تشكل وسيلة بديلة لتأسيس الخطاب الأخلاقي. فبدلا من تأسيس الأخلاق ضمن بناء ميتافيزيقي يدعي أنه يدرك أو يعين سلبا أو إيجابا آخر متعال، يميل فاتيمو إلى تأريخ متكامل لتأسيس منطق أخلاقي. حيث تنشأ إلزامات المسؤلية الأخلاقية عن مسار تاريخي محدد، ثقافيا وشخصيا. ويرى أن المسيحية هي الأصل التاريخي للتركيز المزدوج على العلمانية وضرورة الحب، وكلاهما السبيل إلى الحد من العنف في العالم الحقيقي. فوفقا لفاتيمو، يجلب كل من "إله التجسد"، و"إله التخلي" عن الطبيعة الالهية، هذه الإمكانية إلى دائرة الاهتمام، لأنه هو نفسه يخضع للتاريخ من أجل حبه للبشرية. فالتاريخ يمكن أن يسفر عن تدابير للعمل، دون تأسيسها في آخر متعالي ولامتناهي. ليست هناك حاجة للمرجعيات الميتافيزيقية في الأخلاق غير المتعالية.

ويؤكد فاتيمو أن الأخلاق ما بعد الميتافيزيقية اللا متعالية تسفر عن معيار يمكن أن يشكل أساسا للنقد ما بعد الميتافيزيقي للأوضاع الاجتماعية المعاشة، وبالتالي توجيه خيارات المستقبل. بالنسبة لكثير من المحافظين، غالبا ما ينطوي تفكيك المرجعيات الميتافيزيقية على إعلاء نوع سلبي من العدمية والتشوش الأخلاقي، حيث لن يصبح لدى الفرد سبب وجيه للفعل بشكل أخلاقي، لأن جميع الأسس الميتافيزيقية لهذه المبررات القوية تم تفكيكها. وبعبارة أخرى، إنها تبلغ حد النسبية وعدم القدرة على انتقاد العنف. مع ذلك، يشير فاتيمو إلى تعددية الرؤى الأخلاقية كمساهمة إيجابية توفر معيارا مشتركا لخطاب أخلاقي جديد[24]. فنهاية الاستعمارية وصعود المنطق والرؤى العالمية غير الغربية تظهر أن المركزية

24) Vattimo, Nihilism and Emancipation, pp. 65–66.

الأوروبية للميتافيزيقيا ضعفت وأن ما بعد الميتافيزيقا تكتسب "أهمية تحررية"[25]. ويوفر هذا الوضع معيارا واضحا لشكل الأخلاق ما بعد الميتافيزيقية.

مثل هذه الأخلاق، والتي لم تعد تشير إلى آخر، بمعني كائن متعال، ستصبح أخلاقيات للتفاوض والتوافق بدلا من أخلاق المباديء والأوامر المطلقة غير القابلة للتغيير[26]. إن أخلاقيات الآخر تؤدي إلى الحاجة إلى نظرة سياسية يحتل فيها "التفاوض" و"التوافق" حول الاختلاف الأولوية على فرض مبدأ مطلق تتبناه هوية اجتماعية واحدة.

إن فاتيمو واع بأن هذا النموذج التعددي للأخلاق ما بعد الميتافيزيقية يمكن أن يؤدي إلى معيار فارغ وسلبي: موقف تفكيكي تجاه جميع الهويات الميتافيزيقية والأخلاقية الطبيعية. وهذه مشكلة لأنه في حين أنه يساهم في المشهد الأخلاقي بانجاز دور حاسم ضد المطلقات الميتافيزيقية، فإن من الصعب أيضا أن نفهم كيف يقدم محتوى أخلاقيا إيجابيا يتجنب مزالق النسبية الأخلاقية. ولهذا يقر فاتيمو بحاجته إلى وسيلة ما بعد ميتافيزيقية لتقديم قيمه دون الاعتماد على واجب ميتافيزيقي خفي[27].

من أجل تطوير هذا المحتوى الإيجابي، يقترح فاتيمو ترجمة المضامين الأخلاقية التقليدية الي لغة هايدجر "تعافي الميتافيزيقيا باعتبارها تجاهلا للوجود"[28]. فوفقا لهايدجر، مهمة الفلسفة تذكيرنا بأن الوجود نفسه– الوجود في مقابل الموجودات والكائنات– قد نسي في الميتافيزيقيا الغربية. نسي لأن الميتافيزيقا مثلته باعتباره جوهر أو موضوع ثابت. وهذا يعني أنه من أجل "تعافي"

25) Ibid, 66.

26) Ibid,67.

27) Ibid,68.

28) Ibid,69.

(ISSN : 2536 - 9555)

الميتافيزيقيا باعتبارها نسيان للوجود، لا بد من التوقف عن التفكير في الوجود كموضوع. مع أخذ هذا النقد الهايدجري في الاعتبار، يقترح فاتيمو الإبقاء على المضامين الأخلاقية التقليدية من خلال تفسيرها في إطار نقد هايدجر للميتافيزيقيا. ويضرب مثالا على ذلك بالخطايا السبع المميتة. فمن خلال فلسفة هايدجر "يمكننا الإبقاء على قدر كبير من محتوى هذا المذهب التقليدي [الخطايا السبع المميتة]، ولكن مع تغيير عميق في المعنى. فمن خلال تبني الفلسفة الهايدجرية، يسعى فاتيمو لإنقاذ المضامين الأخلاقية التقليدية بطريقة ما بعد ميتافيزيقية. فالتعامل مع الخطايا السبع المميتة بطريقة ما بعد ميتافيزيقية يعني أن ذنوبا مثل الحسد، والتكبر، والشراهة، يمكننا اعتبارها "عجز عن تعليق التعلق الكلي بالموضوع الحالي والاستماع إلى أصوات أخرى"، استماع من شأنه أن يفتح "احتمالات أخرى يمكنها أن تحررنا من التبعية والخضوع إلي ميولنا الحالية نحوها"[29].

يرى فاتيمو أن المعنى الجديد الراديكالي لأي مضمون أخلاقي إيجابي سيكون له جانبان رئيسيان: أولا، هناك اجتثاث للشكل الميتافيزيقي التقليدي للمضامين الأخلاقية من خلال رفض التوجه المتمركز حول الموضوع والذي اتسمت به الميتافيزيقيا التقليدية، حيث يحاول إثبات كيف يمكن لهذه المحتويات الأخلاقية التقليدية أن تحصل على مثيل ما بعد ميتافيزيقي، كما في مثال الخطايا السبع المميتة، ذلك أنها يمكنها أن توفر دليلا للفعل باعتبارها ذات بعد تاريخ، وبالتالي يمكنها أن تخضع للنقد والتحقق الإجرائي. إنها لا ترتكز على واقع ميتافيزيقي، وبهذا المعنى، فإنها تصبح ما بعد ميتافيزيقية، لأنها تتخلى عن فكرة الواقع الموضوعي. ثانيا، لأنها الإرث التاريخي والثقافي، يمكن للخطايا السبعة القاتلة أيضا أن تقدم محتوى ايجابيا آنيا جديدا ومعيارا للعمل. لأن أساسها الميتافيزيقي

29) Ibid,69.

قد تم تفكيكه، تحصل الخطايا السبع المميتة على معنى راديكالي جديد. يقول فاتيمو أن هذا يتيح للمفكر الأخلاقي إمكانية توفير تعريف جديد للواجب. الواجب هو "على وجه التحديد نفي تعريف المعطى... "[30]. وهذا يعني أن محتوى أي إرث أخلاقي يمكن أن يحصل على مثيل ما بعد ميتافيزيقي طالما أننا نتجنب الموضوعية المتحجرة لموضوع موجود في ذاته. لنأخذ مثال الشراهة. لدينا شخص معين لديه حاجة لا إرادية لتناول الطعام. هو يمنح موضوع رغبته وهو الغذاء تقييما مفرطا. يأكل هذا الشخص أكثر مما هو ممكن لأي إنسان عادي. وبسبب هذا الإكراه، فإنه لا يمكنه تعليق التعلق الكلي الحالي بالغذاء. يحدد الغذاء حياتهم ويسيطر على أفكارهم. وبسبب هذا الإكراه، لا يمكنهم سماع أصوات أخرى كأصوات الاعتدال التي تقدر موضوع رغبتها بشكل مختلف؟. ربما يقوم الطبيب أو أي من أفراد الأسرة، ومن يقلق على صحة الشخص الشره، بإعادة تقييم أهمية الغذاء في حياته. ولكن لأن الشره ليس لديه رغبة في البعد عن الموضوع، فإنه يصم آذانه تجاه أصوات القلق التي تحيط به.

يعتقد فاتيمو أن خطيئة الشراهة لا تزال توفر دليلا للفعل وواجبا يجب على الشره أن ينجزه. هناك لحظتان إحداهما سلبية والأخرى إيجابية. أولا، اللحظة السلبية، التي تتطلب أن يبتعد الشره مسافة عن موضوع الرغبة، حتى يمكنه أن يصير منفتحا على سماع الأصوات القلقة التي تحاول إقناعه بإعادة تقييم الموضوع. وسيتيح ذلك للشره الاطلاع على وجهات نظر أخرى، تنظر إلى الغذاء من زاوية مختلفة، وفهم كيف تبدو شراهته للآخرين. إنها تحلل العلاقة المتنامية بين الذات والموضوع إلى درجة يمكن عندها فتح آفاق أخرى لكليهما. ثانيا، اللحظة الإيجابية، حيث يمكن للشره الآن أن يرى ويسمع احتمالات أخرى وكذلك التعرف على واجبه بألا يكون شرها لأسباب كثيرة: صحته الشخصية، ومسؤوليته

30) Ibid, p.70.

(ISSN : 2536 - 9555)

تجاه أفراد أسرته، ومسؤليته الأكبر تجاه العالم الاجتماعي، والانخراط في قضايا بنيوية كالإفراط في الاستهلاك في الغرب والمجاعة في العالم الثالث. ولا سبب من هذه الأسباب بحاجة إلى أن يستند إلى منطق ميتافيزيقي، لكنها أسباب مقنعة للشره لكي يتوقف عن الأكل كثيرا[31].

من الواضح أن الفكر الضعيف لفاتيمو لا يسعى إلى النسبية، ولكنه شكل من أشكال الأخلاق الإجرائية[32] التي تسعى إلى تبرير القرارات الأخلاقية الإيجابية باعتبارها قبل كل شيء، ما بعد ميتافيزيقية، إنها لا يمكنها تقديم أخلاق عالمية ذات جدوى لأن القيام بذلك، سيكون متناقضا مع فكرة واجب مناف لوهم التسليم. ومع ذلك، يمكن تطبيق هذه الوصفة ذاتها لتفسير أي محتوى أخلاقي متاح. علاوة على أنها ستبقى تأويلية لأنها لا تقوم علي أساس ميتافيزيقي مهم يمكن أن يضمن الهويات مرة واحدة وإلى الأبد. إنها متجددة لأن كل التأويلات تحدث داخل منبع تاريخي وثقافي متجدد. حيث يرى فاتيمو أن جانبا رئيسيا من الإجرائية هو أنها تتم داخل هذا المنبع[33] وهكذا، يقدم التاريخ أدلة للتفكير والعمل في أي وضع أو عملية تأويلية. النقطة الرئيسية هي أن الأخلاق ما بعد الميتافيزيقية معنية بتوفير النقد والتوجيه للفكر والعمل البشريين.

ثالثا: الميتافيزيقا كنسيان للوجود

يستخدم فاتيمو مجموعة من الحجج للدفاع عن عودته إلى المسيحية وأن لديه نوعا من الاعتقاد، لكن شكل ومضمون اعتقاده مميز وخاص، وذلك بفضل الطريقة الأخلاقية التي يؤول بها المسيحية مع مراعاة تفكيكية مارتن هايدجر

31) Dustin Zielke,The Decline of Certainty: On Gianni Vattimo's Weak Belief, University of British Columbia, 2007, pp. 17-18.

32) Vattimo, Nihilism and Emancipation, p.155.

33) Ibid, p.160.

للميتافيزيقيا. لقد استخدم فاتيمو عددا من العبارات المختلفة التي تهدف إلى تأهيل اعتقاده باعتباه غير تقليدي: "نصف اعتقاد"، "الاعتقاد بأن المرء يعتقد"، و"الاعتقاد ما بعد الحداثي"[34] وتشير هذه العبارات إلى أنه في حين أن اعتقاد فاتيمو غير تقليدي، فإنه على الرغم من ذلك يعتقد ويصر على أنه يعتقد.

إن الميتافيزيقيا هي تقليد فلسفي غربي للتفكير فيما وراء أو فوق (بعد) الموجودات، وأحد موضوعاتها الأساسية هو الوجود. وعلى الرغم من أن الوجود هو أحد الموضوعات الرئيسية للميتافيزيقا، ربما كان وصف هايدجر لتاريخ الميتافيزيقيا باعتباره نسيان للوجود أكبر إسهاماته الفلسفية. والسبب الرئيسي في تناسي الميتافيزيقيا للوجود هو تفكيرها في الوجود كموضوع قابل للإثبات، الأمر الذي يفضي إلى تفكير أصولي. وحيث يجسد مصطلح اللاهوت الأنطولوجى كيف حدث هذا.*

تقرر الميتافيزيقيا ما عليه الموجودات كموجودات، وهذا يعني أن الشيء يصبح موجودا عبر ارتباطه بفكرة الوجود على هذا النحو. ولأنها تتناول

---

34) Vattimo, Belief. P. 77.

* ولا يعني ذلك أن فاتيمو ينادي بالإجهاز على الميتافيزيقيا، إذ يعترف بألا أحد يستطيع أن يفعل ذلك، وذلك عندما يقول مستشهدا بهايدجر "ليست الميتافيزيقيا شيئا نستطيع وضعه جانبا كرأي، ولا يمكن تركها خلف الأكتاف كمذهب انتهى الإيمان به؛ إنها شيء يبقى فينا كآثار مرض أو كألم نركن إليه. إنها شيء نتعافى منه، نركن إليه، يرسل لنا". هو يدافع عن الميتافيزيقيا السيالة التي فقدت تكتلاتها وصلابتها مع الإعلان النيتشوي الشهير عن موت الإله، وفي نفس الوقت لب فكرة فاتيمو وتصوره لما بعد الحداثة كتعافٍ من الحداثة المحكومة بالميتافيزيقيا التي تأسست عليها كل الأيديولوجيات التي أذاقت الإنسان كل أنواع العذاب والهوان.

جياني فاتيمو، نهاية الحداثة، ترجمة: نجم أبوفاضل، المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الأولى، 2014، ص199.

(ISSN : 2536 - 9555)

الموجودات كموجودات، هي تربطها بالوجود كوجود عبر تخيلها في علاقة مع وجود الموجودات. فالوجود هو ما تتشارك فيه جميع الموجودات بفضل كونها موجودات. وبالتالي يعين الوجود الجانب الأكثر عمومية للموجودات، حيث يصبح الوجود كيفية متعالية لجميع الموجودات الممكنة. فبمعرفة "ما هو وجود،" يضع المرء حدا أيضا لما لا يمكن أن يكون وجودا أو كيانا ماديا[35].

عبر تاريخ الفلسفة الغربية، تدفع الميتافيزيقيا باتجاه نسيان الوجود لأنها تتناسى الطريقة التي أخفي بها الوجود في فكرة وجود الموجودات. يقول هايدجر "كميتافيزيقيا، هي في جوهرها مستبعدة من تجربة الوجود. لأنها تمثل دائما الموجودات فقط بالتركيز على هذا الجانب منها الذي يعبر عن نفسه بالفعل كوجود. لكن الميتافيزيقا لم تعط أدنى اهتمام لما يخفى نفسه في هذا الوجود ذاته حيث أصبح غير مستترا"[36].

يتضمن هذا الاقتباس نقد هايدجر للميتافيزيقا الغربية كنسيان للوجود. يحتوى الجزء الثاني من العبارة الأولى على المعنى الإيجابي للنسيان، في حين تحتوي العبارة الثانية على معناه السلبي. تتناسى الميتافيزيقيا الوجود بشكل إيجابي من خلال التفكير في الموجودات فقط وذلك بالتركيز على الطريقة التي يتجلى بها الوجود بالفعل بالمعنى الواضح للوجود في ذاته. إنها تفكر في الموجودات ككيانات قابلة للتجسيد. وتتناسى الوجود بشكل سلبي عبر إهمال الامكانات المستترة أوالمنسية في كل موجود من الموجودات، والأكثر أهمية، في الوجود في ذاته.

35) Martin, Heidegger, Pathmarks. New York: Cambridge University Press, 1998. P. 287.

36) Ibid, p.288.

يمكن للمرء أن يفكر في هذا النسيان من خلال التفكير في الأساس التأويلي للوجود ذاته. فلو تم التفكير في الموجودات لأغراض العلوم الطبيعية مثلا، فإننا سندرك الوجود في حدود ما يسمح للعالم بتمثيل خصائص موضوع مادي، والسيطرة عليه، أو التلاعب به. يقول هايدجر في الوجود والزمان "إن العلوم الطبيعية تفترض بالفعل الأنطولوجيا العلمية"[37]. وقد فسر الوجود، إما صراحة أو ضمنا، باعتباره ما يمكن قياسه أو تكميمه، لأن وجود الموجود يكون قد فهم بالفعل وفقا لتفسير الوجود الذي يناسب الأغراض التقنية للعلوم الطبيعية. وهكذا، يتشيأ الوجود عبر تفسيره بما يتناسب والأغراض الفنية والعلمية للعلوم النظرية.

في سياق مختلف، يقول هايدجر إن تشيء الوجود (بوصفه موضوع للعلم التقني) هو ما يدفع المرء إلى التفكير في الوجود كـ "موضوعية"، ومن ثم يحاول الوصول إلى "ما هو في ذاته". ولكن المرء ينسى فقط أن يسأل وأن يقول ماذا يعني المرء هنا بـ"ما هو وجود" وبما هو "في ذاته"[38]. يرى هايدجر أن محاولة الوصول إلى الموضوع "في ذاته"، باعتباره ذلك الذي يناسب أغراض علمية تقنية للتغيير والسيطرة، يتضمن بالفعل تفسير "ما هو موجود" (وجود الموجودات). وهكذا، فإن "ذاتا" للموضوع تتأثر بالفعل بنظرة الذات تجاهه وفق هذه الافتراضات الوجودية. وبعبارة أخرى، يرى هايدجر أن المرء ينسى أن هناك تفسيرا ضمنيا للوجود كحقيقة موضوعية تعمل في خلفية فكر المرء عندما يفحص الموجودات من المنظور التمثيلي العلمي.

37) Martin, Heidegger, Being and Time. New York: Harper Collins Publishers, 1962. p.31.

38) Martin, Heidegger, The End of Philosophy. New York: Harper & Row, 1973. P.96.

(ISSN : 2536 - 9555)

وهكذا، فإن نسيان الوجود يحدث بطريقتين: أولا، بشكل إيجابي، فإنه يحدث عبر موقف الرؤية العملية للموجودات (وبالتالي الوجود)، التي تتضمن دائما تفسيرا قبليا غير مدرك للوجود الحقيقي. ثانيا، بشكل سلبي، هذا التفسير المفهوم مسبقا للوجود يخفي تفسيرات أخرى ممكنة للوجود. هذا التحقق الفعلي والاخفاء للوجود يؤلف نسيان الوجود الذي هو تراث الميتافيزيقيا القائمة في العالم الغربي. يعلن هايدجر "يبقى الوجود غير موضع تساؤل وأمرا مفروغا منه، وبالتالي غير قابل للتفكير. هو يقيد نفسه بحقيقة لطالما تم تناسيها وبدون أساس"[39] هذه الحقيقة المجردة للوجود هي فكرة أن الوجود لا يمكن أن يستند إلى موضوع أو كيان، وهو ما يحاول هايدجر إنجازه عبر تفكيك تاريخ الميتافيزيقيا باعتباره لاهوت أنطولوجي.

إن أحد أهم المصطلحات المعبرة عن طرح هايدجر حول نسيان الوجود هو اللاهوت الأنطولوجي. يعين اللاهوت الأنطولوجي الطريق الرئيسي لنسيان الميتافيزيقا للوجود: ذلك لأنه فسر الوجود بوصفه وجود أو كيان. من خلال مفهوم الوجود، تمثل الميتافيزيقيا السمة أو الخاصية الأكثر عمومية للموجودات ككل. حيث يمثل الوجود "مجمل الموجودات على هذا النحو بالتركيز على سمتها الأكثر عمومية؛ ولكن في نفس الوقت أيضا كلية الموجودات بمعنى الوجود الأعلى وبالتالي الإلهي"[40]. من ثم للوجود معنيان: أولا، هو تلك السمة أو الصفة الأكثر شمولية لجميع الموجودات. ثانيا، إنها تلك السمة العامة التي تشكل أساس وأصل جميع الموجودات، والتي تحصل على رتبة الوجود الأول أو الوجود الإلهي الأعلى. وعبر تأليه أصل الوجود في حدود علة أولى أو إله، تتصور الميتافيزيقيا الوجود كنوع من الكيانات، ولكنه أعلاها. هذا هو السبب في تناول هايدجر لمفهوم

39) Ibid, pp.96-97.

40) Heidegger, Pathmarks. P.287.

اللاهوت الأنطولوجي: لأنه وفقا لجوهرها، "الميتافيزيقيا هي في نفس الوقت أنطولوجيا ... ولاهوت"[41] هناك تحالف بين الأنطولوجيا واللاهوت ساهم تاريخيا في نسيان الوجود.

وتتبدى أهمية اللاهوت الأنطولوجي عبر تاريخ الفلسفة الغربية في أنه قادنا إلى تفكير أصولي. عندما يصبح الوجود هو الموضوع الأكثر شمولا وسموا، والذي يمكن أن يمثل بشكل إيجابي ويدرك من قبل الفلاسفة، من ثم فكل فكر وعمل مشروع يمكن استخلاصه منه. تفسير الوجود أنه "كذا وكذا" يقيد ويحكم ما يمكن معرفته وقابل للتنفيذ، مما يؤدي إلى الدوجماطية إذا ظل هذا المطلق غير قابل للتفاوض.

يرى هايدجر أن مهمة الفلسفة هي محاولة فهم الوجود عبر تفكيك تاريخ الميتافيزيقيا وهذا التحالف بين الميتافيزيقا واللاهوت. وقد يبلغ هذا محاولة استعادة، بأي وسيلة ممكنة، الوجود كوجود عن طريق تمييزه عن وجود الكيانات. فمن خلال محاولة تذكر الوجود، طور هايدجر شكل من أشكال التفكير غير الأصولي، الذي يحاول فاتيمو تعزيزه باعتقاده الضعيف.

يقبل فاتيمو تحليل هايدجر للأساس اللاهوتي الأنطولوجي للميتافيزيقا. لذا تميزت عودته إلى المسيحية بمحاولة التمييز بين المسيحية الميتافيزيقية والمسيحية ما بعد الميتافيزيقية. هو يدافع عن مسيحيته ما بعد الميتافيزيقية وفق عدد من النقاط الرئيسية، والتي تميل إلى تقويض الحدود التقليدية بين الفلسفة واللاهوت. يرتبط نقد هايدجر للاهوت الأنطولوجي الغربي باعادة فاتيمو التفكير في المسيحية ويشمل ثلاثة موضوعات رئيسية: الأول هو تأويل فاتيمو لموت الإله. والثاني هو قراءته القائمة على "التخلي" في المسيحية. الثالث هو دمجه الإيجابي للمسيحية

41) Ibid.

(ISSN : 2536 - 9555)

والعلمانية. حيث تساهم هذه الموضوعات الثلاثة في تطوير نسخة ما بعد حداثية فريدة للاعتقاد.

1) موت الإله

وفقا لفاتيمو، لا ينبغي أن نفهم إعلان نيتشه وفاة الإله على أنه أطروحة إلحادية. ذلك أن التفكير فيها بهذه الطريقة "من شأنه أن يصل بنا إلى حقيقة مطلقة أخرى تعادل تماما التأكيد على أن "الله موجودا"[42]. وبعبارة أخرى، فإن هذا سيرقى إلى حالة أخرى من الميتافيزيقا التي يعتقد فاتيمو أن نيتشه قد اعتبرها "غير مجدية". تحتاج عبارة "لقد مات الإله" إلى أن تفهم على أنها تعني أنه لم يعد هناك أي أسس مطلقة للفكر أو العمل يمكن أن تضمن الاستقرار والصدق المطلق للعقائد، سواء أكانت دينية أم علمانية[43]. إنه ينبغي أن يفهم كإعلان عن رفض التأسيس اللاهوتي الأنطولوجي للميتافيزيقيا. يقول فاتيمو إن "معنى مماثل [لموت الإله] ... موجود في هجمات هايدجر ضد الميتافيزيقا... التي تعتقد أنها قادرة على استيعاب الأساس النهائي للواقع في شكل بناء موضوعي مثل الجوهر أو الحقيقة الرياضية التي تتجاوز حدود الزمان[44] بالنسبة لفاتيمو يشير موت الإله إلى نهاية التفكير الأصولي، لأنه يرفض إمكانية أن يستطيع المرء فهم حقيقة خالدة يمكنه على أساسها أن يصل إلى استنتاجات وجعلها صالحة بشكل عالمي وكأنها معادلة رياضية.

ولأن موت الإله لا يقدم أطروحة إلحادية، بل يلغي بالأحرى الأساس الميتافيزيقي للإلحاد، فإنه يشير إلى إمكانية حدوث تجديد للتجربة الدينية في عالم

42) Vattimo, Not Being God. P18.

43) Ibid.

44) Vattimo, After Christianity. P.3.

ما بعد الحداثة[45]. ومع ذلك، فإن شكل هذا التجديد ليس تقليدي. وهذا يعني أنه لا يفهم كعودة بسيطة لدين (ميتافيزيقي) دوجماطي، وهو ما يتعارض مع أسس تجديده. إن هذا التجديد يتجاوز التوجه الموضوعي الميتافيزيقي للإلحاد وللاعتقاد بالله. ومن ثم فإن اعتقاد فاتيمو لا يمكن أن يختزل في حدود النقاش بين الإلحاد والاعتقاد بالله*.

ومن هنا يرى فاتيمو أن العدمية المتممة Nihilism Accomplished المستقاة من نيتشه؛ عدمية نشطة بلغت حد تحطيم كافة القيم العليا ولم تعد هناك أية قيم تتحكم في الإنسان أو يعمل لأجلها ويسعى لها. فالعدمية المتممة هي في نفس الوقت تجاوز للعدمية واستعادة لثقة الإنسان في قدرته على صنع قيمه الخاصة به والخالية من العدمية؛ أي أنها لا تعود به إلى العدمية. وليتحقق الوصول إلى ما بعد الحداثة؛ فإن الإنسان لا يستطيع تجاوز الحداثة والميتافزيقيا إلا بقبولهما معا؛ وهذا هو فهم فاتيمو لمفهوم التعافي Verwindung الهايدجري. وهو هنا يوافق جان ليوتار في أن وضع ما بعد الحداثة متصل بانحلال رؤية التاريخ كوحدة متصلة متماسكة، "بينما يزداد نظريا مفهوم التاريخية إشكالية؛ تتحلل في الممارسة التأريخية وفي وعيها المنهجي فكرة التاريخ كمسار أحادي"[46].

---

45) Ibid, p.5.

* في مقاله "العدمية كانعتاق" يقول فاتيمو "لا تدعي [مقولة] موت الله كونها حقيقة مكتملة نهائيًا، على أساسها يمكن للمرء أن يوجد دوجماطيًا ثمة قوانين طبيعية للإلحاد، للعالم غير المخلوق أو ثمة نموذج نازي للإنسان الأعلى. ليس على العدمية البناءة للهيرمنيوطيقا فقط الدفاع عن نفسها ضد العودة العصابية للسلطوية، ولكن أيضا ضد التصلب الميتافيزيقي لكل ما هو مناهض للأصولية".

Vattimo, Nihilism and Emancipation, VOL 5, n 1,2009, p. 22.

46) جياني فاتيمو، نهاية الحداثة، ص 17.

(ISSN : 2536 - 9555)

حيث تكمن أهمية الفهم الذي يطرحه فاتيمو للفرق بين الحداثة وما بعد الحداثة؛ حيث الانتقال من الحقيقة ككتلة متصلبة إلى الحقيقة السيالة. عندما نتداول فيما بيننا مصطلحات من قبيل التعددية والتسامح والتعايش ونبذ العنف ومكافحة الإرهاب؛ فإن ذلك لا يتأتى إلا في ظل اعتبار أن كافة أشكال الأصوليات هي خطابات تاريخية تفهم وفق المنهج التأويلي.

إن انحلال التاريخ؛ كما يقرر فاتيمو؛ هو الطابع الذي يميز التاريخ المعاصر عن التاريخ الحديث، حيث ما عادت الصورة عن تحقيق تاريخ شامل ممكنة، فالمعاصرة تتميز بكثرة مراكز التاريخ والقوى القادرة على صناعة وجمع وبث المعلومة، وغالبا ما تنطلق من خيارات سياسية متباينة، وليس من إرادة كلية. بل إن ظروف قيام تاريخ شامل غير واردة أساسًا في ظل تفاوت واضح في صناعة الحدث واختلاف المراحل بين الأمم[47].

2) التخلي والفداء

من أجل فهم السياق الذي يجعل لاعتقاد فاتيمو معنى، ينبغي للمرء أن يفهم قراءته الهايدجرية لأطروحة الفداء لرينيه جيرار وانعكاسها على الفهم الفدوي للمسيحية[48] من ثم، يمكن للمرء أن يفهم بشكل أفضل كيف تجاوز اعتقاد فاتيمو الحدود التقليدية لجدل الإلحاد– الاعتقاد.

تقول النظرية الأنثروبولوجية لجيرار أن المؤسسات والمجتمعات الإنسانية نشأت معا ومزقتها الرغبة في التملك. فالرغبة في التملك والحيازة هي المحرك البشري لتملك موضوعات الرغبة والاحتفاظ بها، وذلك ببساطة لأن المرء يرى الآخرين على أساس حيازة أقرانه في المجموعة. هذا الدافع قوي ويؤدي إلى الصراع على موضوعات الرغبة، مما يهدد بتدمير المجتمع. ويؤكد جيرار أنه من

---

[47] المصدر السابق، ص 22.

[48] Vattimo, Belief. p.37–39.

أجل تلطيف هذا الاتجاه المدمر، طورت المجتمعات البشرية آلية الفداء. فوظيفة الفداء هي إزاحة العدوان البشري العالمي والتخلص مع الوقت، من الميل المدمر للرغبة في التملك. وقد صار الفداء والطقوس القربانية محاطة بهالة من القداسة، كما أصبح هذا البناء الفدوي للمجتمعات البشرية التقليدية مشروعا عبر أساطير الأديان الطبيعية.

لذا يقابل جيرار الديانات الطبيعية بالاعتقاد المسيحي، لأنه يرى أن المسيحية هي أول ديانة تلغي– القربان الحقيقي وليس الشكل المجازي للقربان المقدس– آلية الفداء من خلال عقيدة التجسيد وموت المسيح[49]. تؤكد العقائد التقليدية الاسترضائية لموت المسيح على المنطق الفدوي لموت المسيح. أصبح المسيح قربانا من أجل تخليص البشرية من غضب الله القدوس، الذي يسعى لتدارك الإثم البشري وهذا هو المقدس الطبيعي، فموت المسيح يكشف فقط هذا الفهم للتجسد. إن موت المسيح يكشف في الواقع ويلغي "العلاقة بين العنف والمقدس"[50] فقد كان صلبه نتيجة وعظه ضد هذه العلاقة. الديانات الطبيعية هي تلك التي لا تزال تعزز المقدس الطبيعي ومنطقه الفدوي؛ في حين ان الاعتقاد المسيحي هو الذي يسعى إلى فك الارتباط بين المقدس والعنف.

يؤكد فاتيمو ذلك لكنه أيضا يمدد أطروحة جيرار، من خلال إضفاء الطابع الأنطولوجي عليها بما يجعلها تتناسب مع نقد هايدجر للميتافيزيقيا. في فقرة مهمة للغاية، طور فاتيمو تلك الهوية بين أطروحة جيرار، والعدمية النيتشوية، ونقد هايدجر للاهوت الأنطولوجي في سياق التاريخ المسيحي: "للاقتراب من المعالجة العدمية للمسيحية، يكفي أن نذهب قليلا وراء جيرار من خلال الاعتراف بأن المقدس الطبيعي عنيف ليس فقط من حيث أن آلية التضحية التي تستند عليها

49) Ibid, p38.

50) Ibid, p.37.

(ISSN : 2536 - 9555)

تفترض تعطش إلهي للانتقام، ولكن أيضا من حيث أنه ينسب إلى مثل هذه الألوهية كل صفات السلطة المطلقة، والحقيقة المطلقة، والخلود و"التعالي" بالنسبة للبشرية والتي هي على وجه الدقة الصفات التي تنسبها اللاهوتيات الطبيعية لله... من هذا المنطلق، فإن لإله العنيف لجيرار هو إله الميتافيزيقا، ما تطلق عليه الميتافيزيقا ذاتي الوجود، الجمع في نموذج متفوق جليل كل صفات كائن موضوعي كما تعتقد الميتافيزيقيا.

إن تحلل الميتافيزيقيا هو أيضا نهاية هذه الصور للإله، وهو نفسه موت الإله الذي تحدث عنه نيتشه[51] حجة فاتيمو هي أن المقدس الطبيعي ليس فقط هو الإله العنيف للأديان الطبيعية، ولكنه أيضا إله الفلسفة، لأن هناك تشابها بين الإله العنيف للديانات الطبيعية والإله الموضوعي المتعالي للفلسفة. تجاوز هايدجر للميتافيزيقيا وإعلان نيتشه موت الإله يشير ليس فقط لنهاية المقدس الطبيعي، ولكن أيضا إلى نهاية الإله اللاهوتي الأنطولوجي للفلسفة.

على النقيض من الإله المقدس الطبيعي والإله اللاهوتي الأنطولوجي، الإله التوراتي هو إله التخلي kenosis أو التجسد[52]. يتبنى فاتيمو المصطلح اليوناني kenosis من مؤلف كتاب فيلبي، الذي يميز تجسد المسيح بمعنى التفريغ التدريجي أو جعل ذاته "لا شيء ... إلخ". هذه النظرة المسيحية تحلل أو تعيد صياغة المرجعيات الميتافيزيقية مثل الله. إنه يشير إلى افتقاد المادة في المسيح. وهكذا، وفقا لفاتيمو، لا يشير التخلي فقط إلى نهاية الدين الطبيعي، ولكن أيضا إلى نهاية الإله التقليدي للاهوت الأنطولوجي "التجسد، أي الهبوط بالإله إلى مستوى الإنسانية، ما يطلق عليه العهد الجديد "تخلي الإله" يتم تفسيره كعلامة على أن الله غير العنيف وغير المطلق لعصر ما بعد الميتافيزيقيا له سمة مميزة

51) Ibid,pp 38-39.

52) Ibid,P.39.

وهي الدعوة إلى الضعف الذي تحدثت عنه فلسفة هايدجر"[53] إن فهم التخلي بمعنى خفض منزلة الإله، يعني تحلل الإله المتعالي للاهوت الأنطولوجي وبداية إله التاريخ.

من خلال رفض الارتباط اللاهوتي الفلسفي بين المسيحية واللاهوت الأنطولوجي، حول فاتيمو سياق الاعتقاد. لم يعد الاعتقاد معرفة عن موضوع نظري ممكن كإله متعال. ومن ثم رفض فاتيمو جدل الاعتقاد– الإلحاد، وحول فكرة الاعتقاد في الله إلى شئ أشبه بالتشارك في التاريخ الثقافي: هو استجابة وجودية للتاريخية الثقافية للمرء.

3) العلمانية الإيجابية

يرى فاتيمو أن الهدف الأساسي للتخلي هو أن تشكل العلمانية عملا إيجابيا اضافيا للوحي المسيحي[54]. لأن العلمانية عادة ما تفهم على أنها "انحراف" عن "الأصول المقدسة" للحضارة الغربية، ولأن فاتيمو يفهم– من خلال جيرار– تاريخ المسيحية باعتباره انحراف عن قداسة الديانات الطبيعية، يمكننا فهم العلمانية باعتبارها عمل إيجابي إضافي للرسالة المسيحية للمحبة الإلهية القائمة على التخلي. هذا يعني أن العلمانية ليست مجرد رفض للمقدس الطبيعي المتضمن في العالم المسيحي (الاستبدادية والدوجماطية المسيحية)، ولكن أيضا أنها استعادة الرسالة المسيحية الأصلية للمحبة والحد من العنف المقدس. من ثم يرى فاتيمو أن العلمانية مثال آخر للوحي المسيحي للحب القائم على التخلي[55].

ومن خلال ربط العلمانية بالمسيحية يدعو فاتيمو أيضا إلى استجواب بعض من أهم السمات المميزة للمسيحية التقليدية، لأنه يربط فكرة التخلي بالنقد

53) Ibid.

54) Ibid, pp.38 –44.

55) Ibid, P.47 .

(ISSN : 2536 - 9555)

الميتافيزيقي لهايدجر، حيث تضعف العلمانية من الجوهر العقائدي للمسيحية التقليدية. لم يعد بامكان التقليد المسيحي ادعاء أنه يكشف عن فهم موضوعي للوجود يسمح له بتطبيع أخلاقه، أو معرفة "الحقيقة" الخاصة بالعقائد المسيحية أو الحقائق الدينية[56]. وبالتالي، من أجل تجنب خلو المسيحية من كل جوهر، يقدم فاتيمو رسالة محبة الله القائمة على التخلي في المسيح باعتبارها قيد على المبدأ العلماني[57]. الحقيقة الوحيدة التي تكشفها الكتب المقدسة اليهودية والمسيحية هي حقيقة الحب "الحقيقة الوحيدة التي كشفها لنا الكتاب المقدس، تلك التي لا يمكن أبدا أن يعاد تأويلها عبر الزمن، لأنها ليست عبارة تجريبية، ومنطقية، أوميتافيزيقية، ولكنها دعوة إلى الممارسة– إنها حقيقة الحب، المحبة"[58]. إن فاتيمو يهبط بالاعتقاد المسيحي إلى الرسالة المفردة للحب، حيث يجعل من الحب قيدا على العلمانية أو إعادة التأويل لكننا لا يمكننا اختزال الرسالة المسيحية في دعوتها إلى الحب.

إن فاتيمو يحاول إعادة التفكير في المسيحية من منظور ما بعد ميتافيزيقي، عن طريق الحد من افتراضاتها وتوجهاتها اللاهوتية الأنطولوجية. لا يمكن للمرء أن يفكر في اعتقاده في حدود "موضوعية" ولا في حدود التوجهات الأصولية للنقاش حول الله. بل، إنه يحلل اللاهوت المتعالي للمسيحية من خلال قراءته القائمة على التخلي. ويعتقد أن هذا يطرح أولوية المحبة ويؤدي إلى علمنة المسيحية، كما يؤدي إلى تنصير العلمانية. بالتالي فإن مضمون وشكل اعتقاد فاتيمو "غامض". يمكننا أن نقول أنه يؤمن بالله أو أنه يؤمن بالمسيحية بالمعنى

56) Ibid, PP.56-62.

57) Ibid, PP.62-65.

58) Vattimo, The Age of Interpretation. p50.

العام لمصطلح "الاعتقاد"؟. لكن بماذا يعتقد بالضبط فاتيمو؟ يمكنه حتى أن يقول أن لديه اعتقاد في كل شيء؟.

لقد تحدث كثير من المعلقين عن غموض اعتقاد فاتيمو. وربما تعد الحجة المقدمة من قبل الأمريكي البراجماتي الجديد ريتشارد رورتي (1931- 2007) هي الأقوى. وتأتي قوة حجة رورتي من قربه من فاتيمو وأعماله- فقد ظلا صديقين مقربين حتى وفاة رورتي. وقد تم نشر حوار رورتي وفاتيمو في كتيب بعنوان "مستقبل الدين". يحتوي هذا الكتاب على الحجج الرئيسية التي طرحها كل من رورتي ووفاتيمو ضد بعضهما البعض حول موضوع عودة فاتيمو إلى المسيحية ومعنى اعتقاده العلماني أو ما بعد الحداثي. حيث يجد رورتي صعوبة في الدفاع عن اعتقاد فاتيمو الضعيف بمبررات فلسفية لأنه يرى أن الأساس الفلسفي للاعتقاد قد تم هدمه في ما بعد الحداثة، لأن ما بعد الحداثة تتعامل مع المعتقد الديني بعيدا عن اللعبة العامة لإعطاء وتقديم أسباب للاعتقاد[59]. بينما يدافع فاتيمو عن التزامه المسيحي ضد ريتشارد رورتي عبر التطلع إلى الوراء إلى تاريخ الأوضاع الفلسفية بعد هايدجر، والتي يتشارك فيها مع رورتي، حيث يرى أن المسيحية مهدت الطريق للمشروع الهايدجري[60]. ذلك لأن الغربيين لا يمكنهم إلا أن يسموا أنفسهم مسيحيين، من ثم فلا بد لنا من أن نعتقد بطريقة أو بأخرى في المسيحية لأنها تعطي معنى لهويتنا الثقافية والشخصية.

59) Richard Rorty, Anticlericalism and Atheism. In The Future of Religion, by Richard Rorty and Gianni Vattimo. New York: Columbia University Press, 2005. pp. 37-38.

60) Ibid, pp.47-54.

(ISSN : 2536 - 9555)

رابعا: الاعتقاد الضعيف كاعتقاد بعدم اليقين

يرى فاتيمو "إننا لم ننس فقط ما يعنيه الوجود، بل نسينا أننا نسينا"[61]. حيث تنطوي هذه المبالغة على مسافة معينة من الوجود، ولذا يقول "لا يمكننا تذكر الوجود؛ كل ما يمكننا القيام به هو تذكر أننا نسيناه"[62]. فنحن محظوظون لنتذكر فقط أننا نسينا الوجود؛ ولا يمكننا على الإطلاق أن نفكر بالميتافيزيقا إلا كنسيان للوجود وهو ما يجعلنا نتخلص من تاريخها المليء بالمغالطات.

إن تصور الميتافيزيقيا باعتبارها نسيان للوجود يعني إنكار أن الميتافيزيقا قد اختارت الوجود كموضوع لها بشكل صحيح، وعندما يقول فاتيمو أننا يمكننا أن نتذكر فقط أننا نسينا الوجود من خلال الميتافيزيقيا، فإن هذا يعني أن قبول تاريخ الميتافيزيقيا كنسيان للوجود هو قبول الميتافيزيقا في شكل مؤول. فنحن نقبل الميتافيزيقيا فقط بقدر ما تفهم بأنها نسيان للوجود. تقبل الميتافيزيقيا فقط إلى الحد الذي تعبر فيه عن تاريخ تراجع الوجود، وهو بالضبط ما يناقض ما يتصوره الميتافيزيقيون والفلاسفة.

ذلك أنه وفقا للميتافيزيقيا اللاهوتية الأنطولوجية، لا يوجد ثمة شيء أكثر إطلاقا من أصل الوجود، وحيث تحتاج تمثيلات الوجود كأصل الموجودات إشارة إلى المطلق بما يضمن أنه تمثيل صحيح لأصل الموجودات. ولكن مشروع نقد هايدجر للميتافيزيقيا بأكمله يهدف إلى تفكيك هذه المطالبة بالمطلق، من خلال إعادة تأسيسها.

يؤكد راينر تشورمان، أحد المعلقين على هايدجر والمفكر القريب في توجهاته من فاتيمو، أن هايدجر يرفض ادعاءات المطلق التي تطرحها الميتافيزيقيا بإثبات الطبيعة الزمنية لتمثيلاتها للوجود. إن هايدجر يفكك الأنظمة الميتافيزيقية

61) vattimo, Not Being God, p.17.

62) Ibid,p.23.

لإطلاقها، ويستنكر ادعاءاتها تمثيل الوجود في حضور كامل. وبناء على دعوة كانط للتحرر من الوصاية التي يفرضها الإنسان على نفسه في كتابه "ما هو التنوير"، يرى تشورمان أن الإنسان الغربي يفرض وصاية على نفسه بتبنيه بعض تمثيلات المطلق. ولا يمكننا التحرر من هذه الوصاية إلا عبر تخلي العقل عما يؤسسه هو بنفسه[63]. بعبارة أخرى، تحتاج الفينومينولوجيا باعتبارها "تعافيا" للميتافيزيقيا إلى التخلي عن الإطلاق الذي تطلبه الميتافيزيقيا لنفسها.

تسعى الميتافيزيقا إلى التعبير عن الوجود في تمثيل مطلق، في حين تسعى فلسفة هايدجر إلى إعادة تأسيس الوجود. فتأويل الميتافيزيقيا نتيجة ادعائها الإطلاق هو المبرر المسبق لقبولها. والقول بأن الميتافيزيقيا "تنسي" الوجود ليس سوى الاستعارة التي استخدمها هايدجر لوصف ما حدث للوجود عبر تاريخ الميتافيزيقيا. أما فاتيمو فليس سعيدا تماما بهذه الاستعاره، لأن معنى ذلك أننا يمكننا أن نتذكر أو نستدعي الوجود، بينما يرى أن "الفكر ما بعد الميتافيزيقي لا يجعل الوجود حاضرا بل متطور ومنتهي بشكل دائم"[64].

ومن هنا يرى فاتيمو في "الفكر الضعيف" أنه مع الضعف المتزايد، يتنامى القدم والانحدار والشيخوخة والوهن. والسبب في ذلك هو أنه يعتقد أن الدرس المستفاد من نقد هايدجر للميتافيزيقيا هو أن هناك رحيل تدريجي، وانسحاب أو تخلي عن الوجود نفسه: تاريخ الوجود يجب أن نفكر فيه باعتاره "نوع غير محدد من التخلي والضعف المستمر، والترك، أو الفراق"[65]. ذلك أن استعارات

63) Reiner, Schürmann, Heidegger on Being and Acting: From Principles to Anarchy.Bloomington: Indiana University Press, 1987. p.8 .

64) Gianni, Vattimo, Dialectics, Difference, Weak Thought. Graduate Faculty, Philosophy Journal 10, no. 1: 151-164. 1984. p. 159 .

65) Gianni, Vattimo, Christianity, Truth, and Weakening Faith: A Dialogue. New York: Columbia University Press, 2010. P.84 .

(ISSN : 2536 - 9555)

الشيخوخة أو المغادرة ربما أفضل لأنها تدل صراحة على مرور الزمن وظروف المحدودية، ولأن مشروع هايدجر كان محاولة للتفكير في وجود خاضع للزمن والمحدودية، بدلا من التمثيلات المطلقة لاساس لانهائي وثابت للوجود.

إن الفكر الضعيف يجعل الزمنية والمحدودية سمة متعالية لكل الموجودات وذلك بجعل الوجود نفسه خاضع للمحدودية. يكتب فاتيمو "ماذا عسانا أن نعني بالتفكير في الوجود تحت قيود الفناء والرحيل؟. يعني ذلك أن المتعالي، أو ما يجعل أي خبرة ممكنة، ليس شيئا آخر سوى الشيخوخة"[66]. القول بأن الشيخوخة وضعف الشيخوخة، هو سمة متعالية للموجودات، يعني أن ما يؤسس كل الظواهر الممكنة هو تدهورها، ومحدوديتها وضعفها المتنامي.

ويرى فاتيمو أن الفرق بين الميتافيزيقي وما بعد الميتافيزيقي لا يرقى إلى الانقطاع الكامل في تاريخ الميتافيزيقا. ما بعد الميتافيزيقا، باعتباره تعافيا للميتافيزيقيا، يشير إلى القبول المشروط لتاريخ الميتافيزيقا كتراجع للوجود. حيث تطرح الميتافيزيقيات المابعدية نفسها كاستمرار لتراجع الوجود الذي تم عبر تاريخ الميتافيزيقا. إن الميتافيزيقا يمكن أن تصبح ميتافيزيقا فقط من خلال استمرارية قبول هذا التدهور كتراجع للوجود. وهذا الشرط يجعل ما بعد الميتافيزيقا في تواصل مع الميتافيزيقيا، ومن ثم تغيير أهمية الميتافيزيقيا عن طريق الحد من إطلاقها.

من خلال تراجع الوجود، يمكن للميتافيزيقيات المابعدية أن تميز بشكل ضعيف عن الميتافيزيقا. إنها تتميز فقط بشكل ضعيف لأنها يمكن أن تصبح على ما هي عليه (ما بعد ميتافيزيقية) من خلال التأكيد على تواصلها مع الميتافيزيقيا. عبر علاقة لا تنفصم، ولكن يمكن تمييزها بشكل ضعيف، تصطف ما بعد الميتافيزيقيا مع تقليد الميتافيزيقيا عن طريق المشاركة في محدوديتها، والتي جعلت ذلك ممكنا عن طريق تدهور أو محدودية الوجود نفسه.

66) Vattimo, Dialectics, Difference, Weak Thought, p.159.

إن الاعتقاد الضعيف هو نسخة أضعف من الاعتقاد القوي الذي تم بالفعل إضعافه عبر الزمن. ومع ذلك، يمكننا القول أيضا أن الاعتقاد القوي نفسه هو بطريقة ما، يشارك في تراجع الاعتقاد نفسه. فمن خلال اتخاذ تراجع الوجود كمنظور متعال للاعتقاد، يمكن للمرء أن يقول إن التمييز بين الاعتقاد القوي والضعيف لا يؤسس فرقا خالصا (أو تحولا تاريخيا) في تاريخ العقيدة، ولكنه يقر بالأحرى ضعف الاعتقاد نفسه، فمرور الزمن، وانسحاب الوجود، يتجمد عند المرحلة التي يمكننا عندها التمييز بين الاعتقاد القوي والضعيف دون التخلي عن هويتهما النسبية.

إن الاعتقاد الضعيف يصبح ضعيفا من خلال تراجع قوة الاعتقاد نفسه، والذي يدل على قبول الميتافيزيقا كتراجع للاعتقاد في الوجود ويعني بالفعل رفض إطلاق الاعتقاد القوي. كما أن تراجع قوة الإعتقاد يحدث بالإشارة إلى تراجع يقينه إزاء نفسه. وأعتقد أن هذا هو بالضبط ما يحاول فاتيمو التعبير عنه بعبارته "الاعتقاد بأن المرء يعتقد"، صياغته المفضلة للاعتقاد الضعيف.

يرى فاتيمو أن غموض عبارة "الاعتقاد أن المرء يعتقد" تعكس التناقض القائم في كلمة الاعتقاد ذاتها، ويكتب "هذا الاعتقاد يمكن أن يكون له معنيان: يمكن أن يعني أن يكون لديك "إيمان وقناعة أويقين في شيء ما"؛ ولكنه يمكن أن يعني أيضا "أن تدرك، بمعنى أن تفكر بدرجة معينة من عدم اليقين"[67]، الاعتقاد يمكن أن يعني على حد سواء أن يكون لديك يقين وأن يكون لديك عدم يقين. يرى فاتيمو أن عبارة "الاعتقاد بأن المرء يعتقد" لها معنيان: الأول هو أن تفهم بمعنى كون المرء غير متيقن. في حين أن الثاني هو أن تفهم بمعنى كون المرء متيقن. وبأخذ المعنيين في الاعتبار يمكننا فهم العبارة على هذا النحو "أن تكون غير متيقن من اليقين". ولأن الاعتقاد بأن المرء يعتقد هو الصياغة البارزة للاعتقاد

67) Vattimo, After Christianity., p.1.

(ISSN : 2536 - 9555)

الضعيف، فإن العلاقة بين اليقين وعدم اليقين تبدو السمة الأهم للتحول ما بعد الميتافيزيقي من الاعتقاد القوي للاعتقاد الضعيف. إن عبارة أن تكون غير متيقن من اليقين، تشير إلى أن العلاقة بين الإعتقاد القوي والضعيف يمكن وصفها بأنها انتقال من اليقين إلى الشك في اليقين نفسه، ومن ثم يصبح المرء غير متيقن من اليقين بحد ذاته.

إن الاعتقاد القوي هو ذلك النوع من الاعتقاد الذي يصبح متيقنا من نفسه. لو أن الاعتقاد يحدث بشكل منطقي فإن محتوى الاعتقاد، مثل وجود الله، من شأنه أن يكون مدركا بشكل واضح من خلال الاعتقاد. ينتصر الاعتقاد على عدم اليقين بجعل محتوى الاعتقاد مسألة معرفة، على الأقل بالنسبة للمؤمن. كمعرفة، يصبح محتوى الاعتقاد يقين. إن فهم فاتيمو للعلاقة بين الاعتقاد القوي والضعيف مدعوم بمؤلف هايدجر علم أنساب تاريخ الحقيقة. في مؤلفه نهاية الفلسفة، يتتبع هايدجر تاريخ الحقيقة بوصفه تاريخ ذات تصبح على يقين من معرفتها. حيث ينتهي تحليله إلى أن اليقين ليس مجرد إضافة إلى المعرفة، كما لو كانت معرفة المرء لشيء ما يمكن أن تصبح أكثر وأكثر يقينا. بل يؤكد أن اليقين "هو نمط موثوق فيه من المعرفة ... "[68] و"اليقين وحده يحدد واقع ما هو حقيقي..."[69] ويقول أيضا أن هذه الفكرة عن الحقيقة كيقين تنتقل عن طريق التقليد المسيحي من خلال المعتقد الديني أو الإيمان. ويعتمد ضمان أو عدم ضمان خلاص المرء على مدى إيمانه أو عدم ايمانه بيقين خلاصه[70]. ومن أجل تجنب انعدام ضمان خلاص المؤمن، ولضمان إحساسه بيقين خلاصه، عبر تاريخ المسيحية يصبح الاعتقاد مسألة ضمان معرفة خلاص المرء في ضمان اليقين.

---

68) Ibid, p. 20.

69) Ibid, p. 21.

70) Ibid.

هذه القراءة الهايدجرية للاعتقاد تتناسب بشكل جيد مع فهم الاعتقاد القوي الذي يحاول فاتيمو تفكيكه بعبارة "الاعتقاد بأن المرء يعتقد،" لأن كلاهما يعني أنه ليست محتويات الاعتقاد هي التي تصبح غير يقينية، بل يصبح الاعتقاد نفسه غير يقيني، أن تصبح غير متيقن من اليقين يعني أن تصبح غير متيقن من الحاجة إلى اليقين في الإعتقاد. هذا هو بالضبط ما عناه بتراجع إطلاق الاعتقاد وهو أنه يؤدي إلى الاعتقاد في عدم اليقين.

إن الأهمية الفلسفية لمفهوم فاتيمو للاعتقاد الضعيف، خصوصا في عبارة "الاعتقاد بأن المرء يعتقد"، هي إبراز الأولوية الأنطولوجية لعدم اليقين في الاعتقاد نفسه. وهذا يعني أنه مع تراجع الوجود في الميتافيزيقيا، يتراجع الاعتقاد كذلك. هذا التراجع للاعتقاد نفسه يجب أن يميز بالنسبة لفاتيمو في إطار تراجع اليقين عن اليقين نفسه، الذي يرد في عبارة "الاعتقاد بأن المرء يعتقد". وهذا يعني أن المرء يمكنه أن يؤمن بالمعنى الديني ويكون غير متيقن فيما يتعلق بمحتوى اعتقاده، لأن عدم اليقين هو شرط مسبق متعال للاعتقاد الديني بعد نهاية الميتافيزيقا.

خامسا: المسيحية كشرط تاريخي متعال لما بعد الحداثة

تشتمل حجة فاتيمو القائلة بأن المسيحية توفر شرطا متعاليا وتاريخيا للتفكير في مرحلة ما بعد الأصولية على مكونين:

المكون الأول: المسيحية كدين الحب العالمي:

يقول فاتيمو إن المسيحية يمكن أن تصبح عالمية فقط اذا تخلت عن مطالبتها بالأصولية الدوجماطية. حيث يشير إلى الاغتراب المتزايد الذي يستشعره الأفراد تجاه الكنيسة لإصرارها على عقائد عفى عليها الزمن والأخلاقية الطبيعية. على سبيل المثال، يدرك فاتيمو الاغتراب الذي يشعر به كثير من الناس نحو السياسات الجنسية للكنيسة مثل رفض ترسيم النساء في الطائفة الدينية والتفكير

(ISSN : 2536 - 9555)

في الله كذكر. كما يشير إلى مشكلة المسكونية، حيث تتنافس الديانات على الحقيقة المطلقة، الأمر الذي يؤدي إلى العداء داخل الأديان وبين الأديان.

ولأنها تفاقم العزلة والعداء بين الناس، يعتقد فاتيمو أن المسيحية تتناقض مع رسالتها العالمية. ومن أجل أن تنجز المسيحية عالميتها، فإنها يجب أن تتغلب على الطريقة التي تغترب بها وتسبب العداوات بين البشر. ومن أجل تحقيق عالميتها، يجب أن تدرك أقصى إمكاناتها كديانة الحب العالمي والحوار الأخوي. أما مواصلة الإصرار على التوجه اللاهوتي الأنطولوجي الدوجماطي، فإن ذلك سيبقي على المسيحية داخل دائرة الاغتراب وتهميش نفسها كمؤسسة سلطوية. ولإضفاء الشرعية على هذه الإمكانية للمسيحية، يجري فاتيمو تمييزا حادا بين المسيحية كرسالة راديكالية للمحبة ومعادية للميتافيزيقيا والمسيحية كشرعية مؤسسية لاهوتية أنطولوجية للسلطة السياسية والاجتماعية[71]. فمن أجل تحقيق رسالتها العالمية، يجب أن تتخلى المسيحية عن ادعائها أنها أسست كونيتها عبر الأصولية العقائدية. حيث يمككنا أن نصوغ المقدمات كالآتي: (1) من أجل تحقيق رسالتها العالمية، يجب أن تؤسس المسيحية الحقائق والمعتقدات على رسالتها الأساسية في الحب العالمي، وهو ما يعني تطويعها لعمليات الحوار والتوافق الودي. (2) يجب أن تدرك المسيحية دعوتها العالمية. (3) من ثم يجب أن تخضع المسيحية الحقائق والمعتقدات للعمليات الحوارية للحب.

يرى فاتيمو إمكانية قيام حوار أصيل فقط عندما يصبح كل محاور على استعداد للمخاطرة بافتراضاته الخاصة[72]. وهذا يعني ألا يسعى كل فرد لفرض فهمه القبلي للحقيقة على الحوار، وأن يرغب المتحاورون في أن تقودهم المحادثة

71) Santiago, Zabala, Christianity and the Death of God: A Response to Cardinal Lustiger. Common Knowledge 11, no. 1: 33–40. 2005, p.38.

72) Vattimo, After Christianity. pp. 98–99.

إلى الحقائق التي يمكن أن تنشأ خلالها. وهذا يعني أن أساس كل حوار والأرضية المشتركة التي يقوم عليها، يجب أن تمضي من التفاوضات بين المشاركين. وبالتالي، من أجل أن تصبح المسيحية مجالا للحوار، ولكي تصبح دين الحب العالمي، يجب أن تكون المسيحية على استعداد للتخلي عن جوهرها العقائدي في عملية الحوار.

يمكن أن يكون الحوار أصيل فقط عندما يرغب كل طرف في فقد شئ أو تغيير أو سماع صوت الطرف الآخر بطريقة تغير بشكل كبير من توجهاتهم. إن هذا يمكن أن يحدث فقط عندما يكون هناك إضعاف للثبات على موضوع مستقر. بالضبط من خلال إضعاف الثبات على الموضوع تتهيأ آذان المرء لسماع أصوات أخرى بطريقة تغير علاقة المرء بالموضوع.

ترفض الدوجماطية الاعتراف بالوضع المتناهي للاعتقاد وتقيد نفسها بالحصول على الحقيقة المطلقة التي تبرر للمؤمن يقينه بأثر رجعي. وعلى النقيض من ذلك، يتخلى الاعتقاد الضعيف عن التظاهر بأنه يمثل أو يضمن الوصول إلى واقع متعال. إنه يدرك أنه مؤسسة تاريخية تماما ولا يتهرب من تاريخيته بالرجوع إلى كائن متعال. العلاقة بين الذات والموضوع خففت الوجود أو أضعفته. وهذا يغير بشكل جذري الطريقة التي يفكر بها المرء في موضوع الاعتقاد أو محتواه.

وبإضعاف مخطط الذات– الموضوع، يصبح المؤمن منفتحا على سماع أصوات أخرى يمكن أن تتحدث عن "الموضوع". وحيث لم يعد الموضوع الآن موضوع، بل صوت ورسالة. ذلك أن فقدان الموضوع يفتح إمكانية سماع أصوات مخلصة وقابلة للنقد للمرة الأولى. إنه سماع ضعيف قابل للنقد لأنه لا يمكن تدعيم الصوت بإحالته لموضوع في حد ذاته. وأثناء المحادثة، لا يحاول المتحاورون التوصل إلى تمثيل أفضل للموضوع، بل إنهم يحاولون إسماع

(ISSN : 2536 - 9555)

صوتهم. حيث تحول الموضوع إلى بناء خطابي ينتج عن نماذج ورثتها وجلبتها إلى المناقشة. هذا هو السبب في أن فكر فاتيمو الضعيف يفهم الحقيقة كبناء خطابي، يخضع إلى القواعد الخطابية التاريخية والثقافية والمؤسسية التي تتيحها النماذج[73]. ولكن النقطة الرئيسية هي أن الموضوع يتراجع ويحل محله الصوت الذي يمكن الآن أن يسمع، لأن الإفراط في الاستثمار في الموضوع يتلاشى.

إن محادثة الآن يمكن أن تتم دون أن يكسب أي طرف أولوية ميتافيزيقية في الحديث. وستستند أي أولوية مكتسبة إلى القدرة الخطابية على إقناع الآخرين لإدراك أن صوتهم نابع من الهوية الخاصة للآخر، وهذا ما يجعلنا نصل إلى تأسيس أرضية مشتركة من خلال الاختلاف. الاقتناع لا يعكس ذريعة للموضوع في حد ذاته. ولا تقود المحادثة المتحاورين إلى القرب أكثر من هذا الواقع المتعال. بدلا من ذلك، يتمخض الموضوع عن تاريخ مشترك ولكن ذلك يحتاج إلى "التحقق" في ومن خلال المحادثة.

ولكن الاتفاق لا يجعلنا أقرب إلى الموضوع في حد ذاته، بل يقربنا إلى محدودية وتناهي الآخر والالتزام بأننا يتعين علينا الاستجابة لصوتهم، لأننا مدعوون أيضا للاقتناع بمحدوديتنا. هذه هي طريقة الحفاظ على التعددية. حيث يتحدث الصوت ضمن تاريخه الخاص، ولكن كل صوت يجلب معه الاعتقاد بأن جميع الأصوات يمكن أن تجد أرضية مشتركة في اختلافها.

إن الحب هو الاستماع إلى أصوات الآخرين حتى نصل إلى درجة عندها يمكننا أن نغير ارتباط المرء بالموضوع. الحب هو عملية من خلالها نكتسب "آذان لسماع" صوت الآخر بطريقة يمكنها أن تتحدى بشكل جذري ثوابتنا وادعاءاتنا الخاصة لإدراك حقيقة الواقع. فالحب مثل الحوار، يمكن أن يتولد عبر عملية إيجاد معايير للتفكير والتصرف في المواقف المختلفة. ينشأ الحب من المنبع،

73) Vattimo, Dialectics, Difference, Weak Thought.pp. 161-162.

مقياسه قائم في الاستماع ومن خلاله حتى يستطيع المرء سماع أصداء تشكيلات ماضيه ومحتويات أخلاقية تأتي في الصدارة باعتبارها تتلقى مضامينها من الموقف. ومع ذلك، مرة أخرى، يجب أن يتم الحوار ويتأسس على أرضية مشتركة. حتى الحب يمكن أن يسمع أصداء من التاريخ، وكذلك يخضع هذه الأصداء إلى عمليات الحوار.

ويأتي الحب في مقابل العنف لأن العنف، كما يعرفه فاتيمو هو قتل ملكة التساؤل أو الأصوات المتسائلة[74]. العنف هو ثبات مفرط على الموضوع حيث يطغى صوت متحمس بعنف على أصوات الآخرين. وقد يحدث العنف جسديا، وأحيانا فكريا، ولكنه يؤدي في كلتا الحالتين إلى إسكات الأصوات التي يمكنها أن تغير موقف المرء من الموضوع.

المكون الثاني: المسيحية كمقدمة تاريخية متعالية للفلسفة الهايدجرية.

لأن المسيحية وفقا لفاتيمو هي في الأصل غير أصولية، يمكنه الآن ملاحظة أنها تمثل سابقة تاريخية لنقد هايدجر للميتافيزيقيا والسياق اللاأصولي لفلسفة ما بعد هايدجر. وفي حين يتعاطف رورتي مع تركيز فاتيمو على الحب، فإنه غير مقتنع بأن المرء ينبغي أن يشعر بأي تعاطف مع المسيحية. حيث يرى صاحب التوجه البرجماتي أن المؤمنين المتدينين يمكنهم أن يعتقدوا إذا كانوا يرغبون في الاعتقاد، ولكن فقط إلى حد اعتبار معتقداتهم الدينية كشأن خاص، وبالتالي

74) Gianni, Vattimo, 'Weak Thought' and the Reduction of Violence: A Dialogue with Gianni Vattimo." Common Knowledge 8, no. 3: 452–463, 2002. p.455.

(ISSN : 2536 - 9555)

إبعادها عن الفضاء العلماني للمجتمعات الديمقراطية ومن ثم عن المنطق الفلسفي[75].

وبالإشارة إلى حجته السابقة، يمكن لفاتيمو أن يدعي أن فكر رورتي غير الأصولي لن يكون ممكنا إلا في وجود المسيحية: من دون المسيحية، لن يكون لدى رورتي أي مصادر للتفكير بها بشكل غير أصولي يسمح له بالتمييز عمليا بين الحقيقة الخاصة والحقيقة العامة[76]. إن الأفراد مثلي ومثل رورتي "ليس بوسعهم إلا أن يطلقوا على أنفسهم مسيحيين"[77].

فلأن المسيحية تمثل سابقة تاريخية لفلسفة ما بعد هايدجر، فإننا يمكننا الآن القول بأن رورتي وأمثاله، والغرب عموما، هو في الواقع مسيحي. ورغم ذلك، فإن هذا الانتماء هو انتماء ضعيف، لأنه ينطوي على نظرة تاريخية معينة، وصلنا إليها من خلال تراثنا اللاهوتي الأنطولوجي، والتي تشمل أيضا عناصر يونانية، ووسطى، وحديثة، يهودية وإسلامية"[78].

لا يقول فاتيمو أن كل الغربيين يعتقدون فعلا أو ينبغي أن يعتقدوا في عقائد الكنيسة. ومع ذلك، ينبغي أن يتفهموا تاريخهم الخاص في إطار السوابق الثقافية في التقليد المسيحي– وبشكل أوسع التقليد الميتافيزيقي– "حتى فيما يتعلق ببراجماتية رورتي، "ما أقترحه هو اعتماد اضح وصريح على تاريخيتنا المسيحية"[79]. وذلك عبر إحياء الرسالة المسيحة الأساسية للحب العالمي.

---

75) Rorty, Anticlericalism and Atheism, pp.34-38.

76) Vattimo, The Age of Interpretation, pp.51-52.

77) Ibid, p54.

78) John D., Caputoand Gianni Vattimo, After the Death of God. New York: Columbia University Press, 2007. P.102.

79) Vattimo, The Age of Interpretation, P54.

ولكن كيف يتعامل فاتيمو مع محتويات الاعتقاد المسيحي التقليدي، يتساءل بشكل خطابي، "ولكن هل يتعين علينا أن نؤمن حقا بيسوع المسيح فقط إذا كنا قادرين على إثبات أن الله خلق العالم في سبعة أيام أو أن يسوع نفسه قد ارتقى بالفعل صباح عيد الفصح، وبالتالي أن إنسانا هو بطبيعته شيء وشيء آخر أو أن الأسرة هي بطبيعتها أحادية الزوجة، ومتباينة الجنس، وأن الزواج هو بطبيعته غير قابل للانفصال، وأن المرأة غير قادرة بطبيعتها على تولي أي منصب كهنوتي، وهكذا؟[80]. ثم يمضي، "إن الأكثر معقولية بكثير هو الاعتقاد بأن وجودنا يعتمد على الله لأننا هنا، اليوم، غير قادرين على التحدث بلغتنا والعيش وفق تاريخيتنا دون الاستجابة إلى الرسالة المرسلة لنا من قبل الكتاب المقدس"[81].

من ثم يرفض فاتيمو شكلا من أشكال الاعتقاد يمكننا أن نسميه الاعتقاد التقليدي. ذلك أن السمة الرئيسية للاعتقاد التقليدي هو أنه يطبع naturalizes وبالتالي يهمل استراتيجيات منطقية لعمليات حوارية معينة تؤسس محتويات اعتقاد خاصة. وهذا هو شكل من أشكال التفكير الأصولي الذي يرفضه فاتيمو.

ويطرح فاتيمو شكل بديل من الإعتقاد وفقا لمنطق حجته السابقة ضد رورتي. يمكن للمرء أن يرى أنه لا يزال يعمل مع فكرة الاعتقاد. إنه لا يزال يؤمن بالله، ولكن منطق هذا الاعتقاد يختلف كثيرا عن الاعتقاد التقليدي. فـ "الأكثر معقولية " أن نعتقد في الله لأننا لا يمكننا أن نفكر أو نحيا حياتنا كأفراد غربيين، بطريقة أو بأخرى، دون الاستجابة إلى إله الكتاب المقدس الذي نلتقيه في تراثنا النصي والثقافي. أما محتويات الله أو محتويات الاعتقاد فليست موضوعات نظرية يتم شرحها والتحقق منها أو إثبات زيفها من خلال استراتيجيات التفكير الأصولي. وقد

80) Ibid, p53.

81) Ibid, p53.

(ISSN : 2536 - 9555)

طرح رفض فاتيمو للاهوت الأنطولوجي هذه الطريقة في التفكير في محتويات الاعتقاد الديني. مع ذلك، لا يزال مصرا على الاعتقاد بها، لأنها شرط لفهم هوية المرء الشخصية والثقافية.

إن الاعتقاد الضعيف هو شكل من أشكال الانتماء الثقافي والمشاركة القريبة إلى اعتماد المرء على الهوية الأدبية، يقول أن "إبعاد الكتاب المقدس عن الغرب (وحياته الشخصية) مثل إبعاد دانتي عن الأدب الإيطالي أو شكسبير عن الأدب الإنجليزي"[82]. تقليد الكتاب المقدس هو أهم جانب من جوانب التراث الأدبي، لأن المرء لا يمكن أن يبعده عن دانتي أو شكسبير أو أعمال أدبية أخرى دون أن يصبح بلا معنى ثقافيا[83].

يقول فاتيمو أن اعتقاده الضعيف في المسيحية ومعتقداتها يرقى فقط إلى ضمان أنه لا يمكن معرفة هويته الثقافية والشخصية دون الرجوع إلى التقليد المسيحي "هذا يعني أن اعتناق الاعتقاد بالمسيحية هو أولا وقبل كل شيء اعتناق الاعتقاد بحتمية تقليد نصي معين تم تناقله حتى وصل لي. فإذا ما تجاهلت الكتاب المقدس فلن أكون ما أنا عليه"[84]. لا توجد ادعاءات خارقة أو متعالية للمسيحية بعد الآن. الاعتقاد الضعيف يرتبط فقط بمحتويات الاعتقاد المسيحية من حيث الحاجة إلى توجيه هوية المرء في مسار ثقافي وتاريخي. هذه الأفكار تشير إلى أن فاتيمو يفكر في الاعتقاد بالمسيحية على غرار الانتماء إلى التراث الثقافي.

في إطار الاعتقاد الضعيف، يرفض فاتيمو التعامل مع محتويات وموضوعات الاعتقاد الديني (مثل وجود الله) باعتبارها تشير إلى واقع مستقل، بل

82) Caputo, After the Death of God. P.36.

83) Ibid.

84) Ibid.

يشير موضوع الاعتقاد إلى النموذج الثقافي للمرء. وبهذه الطريقة، هو يصبح صوتا. وهذا يضعف هالة القداسة التي تحيط بمحتوى الاعتقاد ويجعله أكثر انفتاحا على النقد. هذا من ثم يصنع مجالا لأصوات أخرى للمشاركة في وصف "الموضوع". فمحتوى اعتقاد وجود الله على سبيل المثال هو بالتالي ليس موضوعا نظريا، بل فرصة للمناقشة بين المتحاورين. علاوة على ذلك، فإنه يثير الحاجة إلى إعادة تأسيس موضوع العقيدة حتى يكون هناك مجال للتحاور.

هذا الفهم للإلهي يجعله مفهوما زمنيا وتاريخيا temporalizing وhistoricizing. هو يجعل التفكير نفسه زمنيا وتاريخيا لأن التفكير لم يعد ببساطة يساوي الإلهي بموضوع موجود في الخارج، فهو حر في إدراك الظروف المحدودة التي يتم الاعتقاد من خلالها. المؤمن يدرك أن الصوت الإلهي يخرج من التاريخ الذي ينتمي إليه. وهذا يعني أنه بدلا من أن يتعامل مع الإلهي بوصفه مرجع ميتافيزيقي يعيد تأريخ التفكير والاعتقاد كما هو الحال في الدوجماطية، في الاعتقاد الضعيف يتحدث الصوت الإلهي فقط تاريخيا وزمنيا.

بعبارة أخرى، يصبح الإلهي صوت زماني وتاريخي. الملحدون والمؤمنون واللاأدريون بحاجة إلى سماع صوت بهذه الطريقة ليصبحوا أخلاقيين وفقا لفاتيمو، ولأن كل هؤلاء متمسكون بإطار موضوعي رافض للطريقة الميتافيزيقية في التفكير. ففي هذه الطريقة، الإلهي هو فقط كل وجود مستقر، وليس صوت يأتي إلى المرء من خلال التقليد، ويمثل عرضا من أعراض تاريخية المرء.

ووفق هذا المعنى، فإن الإلهي يجعل بالفعل تفكير المرء وعلاقته بالآخرين زمنيا وتاريخيا. بدلا من البقاء كموضوع نظري، يصبح الإلهي نداء أخلاقي لتذكير المرء بوضعه المحدود. صاحب الاعتقاد الضعيف "يؤمن" فقط بالإلهي وفق هذا المعنى. إنه يؤمن بالإلهي كشرط لزمانية المرء الخاصة. وبالتالي، فإن الجانب الاعتقادي للاعتقاد الضعيف هو الاعتقاد بأن المرء يجب أن ينظر إلى

(ISSN : 2536 - 9555)

الاعتقاد الديني كفرصة للتوصل إلى إنجاز محدوديته وانتمائه التاريخي، والأطر التي يفكر ويتصرف ضمنها، في حين يظل أيضا مفتوحا لسماع أصوات أخرى تتحدث. الاعتقاد هو أخلاقي، لأن المرء يعتقد أن شيئا ما ينبغي أن يكون موضع اعتقاد. ومع ذلك، يبدو أن هذا يشير إلى أن جميع الناس في الغرب يمكنهم أن يؤمنوا بالله.

الخاتمة

تمثل فلسفة فاتيمو محاولة لاستبعاد اللاهوت الأنطولوجي للمسيحية التقليدية بما يضمن التواصل الإيجابي بين المسيحية وأفكار مثل موت الإله والعلمانية، وحيث يغير هذا الاستبعاد اللاهوتي الأنطولوجي شكل الاعتقاد نفسه. إذ لم يعد الاعتقاد قويا بالدرجة الكافية لجعل الله أو أي "واقعة" دينية أخرى موضوع أو محتوى اعتقاد. فلا يمكن فهم اعتقاد فاتيمو في سياق الجدل الدائر حول وجود الله، لأن الاعتقاد لم يعد حول إثبات أو دحض موضوعات الاعتقاد. الاعتقاد أصبح أضعف، بمعنى أن المؤمن يمكن أن يشير فقط إلى ضرورة الرجوع إلى "محتويات الاعتقاد" التقليدية مثل الله من أجل توجيه ومنح معنى لهويته الثقافية والشخصية.

هذا الفهم الجديد للاعتقاد في مرحلة ما بعد الميتافيزيقا يرتكز علي مشروع يأمل في استعادة الأثر الأخلاقي للرسالة المسيحية الأصيلة للحب. فالمحبة المسيحية تشكل المرجعية التي في إطارها ينبغي فهم كل المشاريع النقدية، والعلمانية، والفلسفية الغربية.

يربط فاتيمو الفهم العلماني للمسيحية والأخلاق غير المتعالية التي يؤيدها. حيث يتأسس مشروعه الأخلاقي على التقييم المتجدد للعلاقة بين الإعتقاد ومحتوى وموضوع الاعتقاد. إن فاتيمو يعتقد، لكنه لا يعتقد في حقيقة دينية موجودة، إنه يؤمن بمعنى أنه يشارك عمليا في آثار التنشئة الثقافية ويتفاعل

معها. أما المحتويات التقليدية لهذا التراث الكاثوليكي فذات مسافة وجودية معينة، يمكن نقدها وتفكيكها وإصباغها بالأسطورية. ومع ذلك، هذه الأسطرة في حد ذاتها تخضع إلى مشروع مسيحي أخلاقي أوسع للحب والحد من العنف.

وعلى الرغم من تفكيك الأساس الميتافيزيقي للأخلاق التقليدية المتعالية، فإن فاتيمو لايزال يقدم دليلا للواجب والإلزام، ولكن من منظور تاريخي، بديلا عن المنظور الميتافيزيقي. يأتي خطاب الواجب والأخلاق بشكل عام إلى المرء من ماضيه الثقافي، فهو يأتي من الماضي ويلتقي المرء في المستقبل.

ولأن بنية اعتقاد فاتيمو الضعيف تتمتع بنفس هذا البناء الأخلاقي. فإنها تتخلص أولا من ذرائعها الميتافيزيقية، ومن ثم تفقد مزاعمها بتمثيل واقع ديني متعال. كما أنها على عكس الدوجماطية، ليس لديها طموحات تمثيل واقع ديني معين حيث يرتكز تبريرها على الحوار البشري وليس في الواقع الديني في حد ذاته.

إن دفاع فاتيمو عن عودته إلى المسيحية معقد، لأن ما يطلق عليه مسيحية مختلف كثيرا عما يعتبره الآخرون مسيحية. يفترض فاتيمو تفسير ما بعد ميتافيزيقي للمسيحية، تفسير يؤكد على الحاجة إلى تحول عن التقليد المسيحي.

لذلك ربما واحد من أكثر الجوانب المثيرة للقلق حول مسيحية فاتيمو هو أنها تحول السياق الذي نفهم من خلاله الاعتقاد. فبشكل تقليدي، السياق الذي نفهم الاعتقاد من خلاله هو السياق الإبستمولوجي. والافتراض الكامن وراء هذا السياق أن هناك واقعا دينيا "قائما هناك" في مكان ما، وهذا الاعتقاد– سواء أكان عقلانيا أو غير عقلاني– ماثل ومقدس في هذا الواقع الديني الخارجي. هذه الفكرة عن الاعتقاد يدعمها بناء عالمي ثنائي للمسيحية التقليدية، التي تتحدث عن عالم دنيوي محسوس وعالم متعال غير محسوس. يتبع فاتيمو إعلان نيتشه بطلان هذا العالم فوق الحسي وموت الإله. ولكن بالنسبة لفاتيمو هذه الافكار النيتشوية تجدد إنعاش التجربة الدينية. وبتبني التأويل النيتشوي للمسيحية، يتغير سياق الاعتقاد

(ISSN : 2536 - 9555)

لدى فاتيمو تغيرا جذريا. فلم يعد الاعتقاد مسألة إدراك معرفي لواقع ديني متعال. فقد أصبح أفق الاعتقاد هو الدعوة إلى العدالة والمضامين الأخلاقية التي يثيرها هذا الأمر.

في حدود فلسفة الدين، يمكننا أن نقول أن فاتيمو قد نقل مسألة الإعتقاد من المجال الإبستمولوجي إلى سياق ثيوديسي. في هذا السياق الجديد، لم تعد مشكلة العقيدة أن إلها متعاليا يسمح أو لا يمكنه إلا أن يسمح للشر بأن يحدث، إما لأنه عاجز أو حاقد. بل هو أن الله الذي أفرغ من كل صفاته المتعالية (القدرة المطلقة، المعرفه المطلقة، الخ) عبر "التخلى"، قد خضع للشر في العالم، وكشف الشر عبر معاناته الخاصة، ودعوة الجميع للحد من العنف. ومشكلة الاعتقاد في هذه الثيوديسيا المتجددة ليست تبرير التجلى الإنساني لله، وإنما إظهار كيف يمكن للمعتقدات أن تساهم في الحد من العنف في العالم الحقيقي.

إن الطريقة الوحيدة لـ"الاعتقاد" عند فاتيمو هو أن يكون ضعيفا وأخلاقيا. أن تعتقد بشكل ضعيف هو أن تعتقد بشكل أخلاقي. وهذا لا يعني فقط أننا يمكننا أن نقول أن فاتيمو يعتقد في الأخلاق، على الرغم من أن هذا صحيح، بل الأكثر من ذلك، فهذا يعني أن شكلا محددا وطريقة معينة للاعتقاد تصبح مهمة أخلاقيا حيث يتم توجيه الاعتقاد نفسه لمهمة الحب والحد من العنف.

لكننا نرى أن مواجهة الأصولية الميتافيزيقية وما يرتبط بها من عنف لا يكون بإضعاف الاعتقاد على النحو الذي عرضه فاتيمو، لأن هذا الإضعاف يلغي حقيقة الاعتقاد نفسه، فلا اعتقاد دون موضوع للاعتقاد.

إن مواجهة الأصولية بكافة أشكالها لا بد وأن يتأسس على الاعتقاد الراشد القائم على مباديء التسامح والتعددية وقبول الآخر والمواطنة وسيادة القانون، واحترام حق كل فرد في الاعتزاز بانتمائه دون التعرض لانتماءات الآخرين بالنقد والتسفيه.

المصادر والمراجع

أولا: المصادر الأجنبية (كتب جياني فاتيمو):

1. Vattimo ,Gianni.(1999). Belief. Oxford: Polity Press.
2. ___.(2002). After Christianity. New York: Columbia University Press.
3. ___. (2004). Nihilism and Emancipation: Ethics, Politics and Law. New York: Columbia University Press.
4. ___.(2005). The Age of Interpretation. In The Future of Religion, by Richard Rortyand and Gianni Vattimo. New York: Columbia University Press.
5. ___.(2009). Not Being God: A Collaborative Autobiography. New York: Columbia University Press.
6. ___.(2010). Christianity, Truth, and Weakening Faith: A Dialogue. New York: Columbia University Press.

ثانيا: المصادر الأجنبية (مقالات جياني فاتيمو):

7. Vattimo, Gianni. (1984). Dialectics, Difference, Weak Thought. Graduate Faculty, Philosophy Journal 10, no. 1: 151-164.
8. ___.(2002). Weak Thought and the Reduction of Violence: A Dialogue with Gianni Vattimo." Common Knowledge 8, No. 3: 452-463.
9. ___.(2009). Nihilism and Emancipation. Cosmos And History: The Journal of Natural And Social Philosophy, Vol 5 ,N. 1.

ثالثا: المصادر المترجمة إلى العربية:

10. فاتيمو، جياني. نهاية الحداثة، ترجمة: نجم أبوفاضل، المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الأولى، 2014.

(ISSN : 2536 - 9555)

رابعا: المراجع الأجنبية:

11. Caputo and John D.(2007). Gianni Vattimo, After the Death of God. New York: Columbia University Press.
12. Critchley, Simon.(2005). The Ethics of Deconstruction. Edinburgh: Edinburgh University Press.
13. Heidegger, Martin. (1962).Being and Time. New York: Harper Collins Publishers.
14. ___.(1973). The End of Philosophy. New York: Harper & Row.
15. ___.(1998). Pathmarks. New York: Cambridge University Press.
16. Rorty, Richard. (2005). Anticlericalism and Atheism. In The Future of Religion, by Richard Rorty and Gianni Vattimo. New York: Columbia University Press.
17. Schürmann, Reiner.(1987). Heidegger on Being and Acting: From Principles to Anarchy. Bloomington: Indiana University Press.
18. Zabala, Santiago.(2005). Christianity and the Death of God: A Response to Cardinal Lustiger. Common Knowledge 11, no. 1: 33–40.
19. ___.(2007). Weakening Philosophy. Montreal: McGill–Queens University Press.
20. Zielke, Dustin. (2007).The Decline of Certainty: On Gianni Vattimo's Weak Belief, University of British Columbia.